

المبادئ الإيمانية للتربية البيئية في الإسلام

قاسم محمد محمود خزعلي

مقدمة:

أصبحت قضية العلاقة بين الإنسان وبيئته من القضايا التي شغلت المفكرين والفلاسفة والعلماء والتربويين نتيجة سوء التقدير لهذه العلاقة وما ينجم عنها من مشكلات بيئية عديدة باتت تهدد البشرية وتعرقل مسيرة حركة الحياة.

فالبيئة (Environment) بوصفها الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان بما يضمّ من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها^(١) تتعرّض إلى تخريب وتدمير من قبل الإنسان المتشبع بالفكر الفلسفي الغربي - المادي منه والعلماني - والذي أكد على الجوانب المادية وأهمّل الجوانب الروحية، فأشاع مفاهيم زيادة الإنتاج اللامحدود وتنوّعه وتسريع حركة الاستهلاك مما أدى إلى استهداف البيئة لاستغلال مواردها متجاوزاً النظام الإيكولوجي^(*) وقد نتج من ذلك حدوث مشكلات بيئية في العالم تتحدد في التلوّث "البيئي والهوائي والمائي" وتدمير الثروة الطبيعية واختلال التوازن في النمو السكاني ومشكلة التصحّر ومشكلات المجاعة والغذاء والصحة وانحراف التربة واستنزاف موارد الطبيعة والإخلال بالتوازن الطبيعي للبيئة.

١ - زين الدين عبد المقصود: البيئة والإنسان رؤية إسلامية، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٦م، ص ١٣.

(*) Ecology: هو علم البيئة الذي يحاول إزالة الفصل بين الإنسان والبيئة، فهو يعنى بدراسة علاقة الكائنات

الحية أو مجموعة هذه الكائنات ببيئتها، أو هو علم العلاقات المتداخلة.

إن أزمة البيئة نتجت عن "الخلل في علاقة التوازن بين الإنسان والبيئة الذي أحدثته مؤثرات الثقافة المادية - ثقافة الثورة الصناعية - والنمط الاستهلاكي ذي الطابع الذي أدى إلى طمس الكثير من الأخلاقيات البيئية الفاعلة في سياق ثقافات ومعتقدات وتراث الشعوب ما قبل إنسان الصناعة" (٢).

ويرى بعض المفكرين أن التقدم الكبير الذي أحرزه الإنسان في مجالات العلم والتكنولوجيا أدى إلى إخلال وتدهور في مكونات البيئة مما أدى إلى قلق الإنسان على نمط حياته بل وعلى بقائه واستمرار وجوده متوقعاً أن خطر العيش أصبح فوق طاقة احتمال البيئة بل ربما هو واقع حال في بعض المجالات وفي بعض مناطق العالم حتى صار "تلازم مصاحبة التلوث للتقدم العلمي أمراً واقعاً" (٣) والنمو الانفجاري في السكان يصعب معه توفير الغذاء ومتطلبات الحياة البشرية الأخرى.

ويرى هؤلاء المفكرون أن تدخل الإنسان العشوائي في الطبيعة أحدث إخلال التوازن البيئي في أنظمة البيئة الكبرى والصغرى وإحداث الكثير من المشكلات التي كان لها الأثر الكبير في تغيير المناخ عالمياً ومحلياً كانهيار الغابات وانقراض بعض الحيوانات وزحف الصحاري وإحداث ثقب في طبقة الأوزون إلخ. وقد أرجعوا سبب ذلك إلى أن الإنسان قد أطلق العنان لقدراته البيولوجية لاستغلال إمكانات الطبيعة والسيطرة عليها (٤). وعلى سبيل المثال لا الحصر منها: فيضانات بنغلادش، وجرف حوالي (٢٥٠) مليون طناً من الطمي سنوياً نتيجة لتعرية التربة في سفوح الهماليا بسبب قطع الأشجار والاحتطاب الجائر للغابات، وكذلك فيضانات السودان بسبب الاحتطاب الحاصل في مرتفعات أثيوبيا (٥)، وكذلك الآثار الناتجة عن الغازات المصنعة والتي تؤدي إلى إصغاف وربما إحداث تصدع في حزام الأوزون الذي يقي الأرض من الإشعاعات فوق البنفسجية الضارة للإنسان والحيوان والنباتات (٦).

-
- ٢ - ضياء الدين سردار: نحو نظرية إسلامية عن البيئة، ترجمة: سمير بطراوي، مجلة العلم المعاصر، مؤسسة المسلم المعاصر والمعهد العالمي للفكر الاسلامي، سنة ١٥، عدد ٥٩، ١٩٨٧م، ص ٧٧-٧٨.
- ٣ - سمير رضوان: تقدم العلوم وتلوث البيئة، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، ع ٣٤٨، ١٩٨٧م، ص ٣١.
- ٤ - المرجع السابق.
- ٥ - محمد سعيد صباريني: ظاهرة النينو والمناخ العالمي، مجلة أفكار، وزارة الثقافة والإعلام الأردن، عمان، العدد ٨٧، ١٩٨٩م، ص ١٨٢ - ١٨٣.
- ٦ - سمير رضوان: المرجع السابق، ص ١٤١.

إن حماية البيئة تقع على عاتق العلم والقانون والتربية لإبقاء البيئة موطناً آمناً وحانياً على الإنسان في حاضره ومستقبله باعتبارها "دين للأبناء وليس إرثاً مكتسباً من الآباء"^(٧).

وللتربية دور وقائي من خلال إعداد الإنسان البيئي (Ecolate) الملمّ بجوانب المعرفة البيئية الأساسية والعارف بكيفية تأثير النشاطات البشرية في العلاقة بين نوعية الحياة ونوعية البيئة، فالتربية قادرة على تشكيل السلوك الإنساني بالتعليم، فالمحافظة على البيئة والتعاون مع الطبيعة هما استجابتان تكتسبان بالتعلم.

ونتيجة لنمو الوعي البيئي على مستوى المجتمع الدولي والإقليمي والمحلي "انبثقت هيئات عالمية للبيئة مثل الهيئة العالمية الفرنسية السويسرية، وهيئة الراين وهيئة موزيل، وانبثقت أحزاب سياسية لحماية البيئة مثل حزب الخضر في ألمانيا الغربية"^(٨).

وكما تشكلت الهيئات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية انعقدت ندوات وحلقات تدريبية استهدفت تطوير التربية البيئية وتنشيط عناصر العملية التربوية البيئية ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- ١- الندوة الإقليمية للاقتصاديين والمخططين في قالينا عاصمة مالطة (١٩٨٩م) بالتعاون مع اليونسكو.
- ٢- الندوة الإقليمية في مالطة (١٩٨٩م) بالتعاون مع اليونسكو حول استعمال مكتشفات البحث العلمي في التربية البيئية.
- ٣- الحلقة الدراسية التي نظّمها معهد مالي/أفريقيا (١٩٨٩م) لتدريب مدرّبي المعلمين في التربية البيئية.
- ٤- الحلقة الدراسية المنعقدة في أميركا اللاتينية بالتعاون بين جامعة كولومبيا (واليونيب) واليونسكو (١٩٩٠م).
- ٥- الحلقة التدريبية في التربية البيئية بالتعاون بين وزارة التربية الكورية والجمعية الكورية للتربية البيئية في سيئول (١٩٩٠م).

٧- المرجع السابق، ص ٢٠.

٨- طلعت إبراهيم الأعرج، التلوث الهوائي والبيئة: سلسلة العلم والحياة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م: ٩/١.

٦- نظمت المؤسسة الهندية القومية للتخطيط والإدارة التربوية نيبا (NIEPA) برنامجاً دراسياً عن

التربية البيئية في نيودلهي (١٩٨٩م) (٩).

ويهدف تربية الإنسان الواعي بيئياً اهتمت الهيئات الدولية بالتربية البيئية قصد تمكين الناس من المهارات المطلوب معرفتها والإحاطة بها والضرورية للحياة، وتمثل الاتجاهات والقيم الضرورية اللازمة للممارسة البيئية العقلانية والمسؤولة ليصل الإنسان إلى "مستوى التعلم عن البيئة والتعلم من البيئة والتعلم من أجل البيئة" (١٠).

وعلى هذا الأساس تمّ عقد مؤتمرات دولية منها: مؤتمر ستوكهولم (١٩٧٢م) الذي تمّ فيه الاعتراف بدور التربية البيئية في حماية البيئة، وميثاق بلغراد (١٩٧٥م) الذي وضع إطاراً شاملاً للتربية البيئية وحدد أسس العمل في مجالها، ومؤتمر تبليس (١٩٧٧م) الذي حدّد مبادئ توجه التربية البيئية، ومؤتمر موسكو (١٩٨٧م) الذي اقترح استراتيجية عالمية للتربية البيئية، ومؤتمر ريودي جانيرو (١٩٩٢م) الذي أكدّ على إعادة تكييف التربية من ناحية التنمية المستدامة وزيادة الوعي العام وتعزيز برنامج التدريب البيئي (١١).

إن التربية الحديثة كانت في إطار النظرية النفعية ذات التوجه الاقتصادي الاستغلالي الذي يجسّد نمطاً سلوكياً مبدّراً؛ وهذا سببى التربية البيئية في ضوء هذا الاتجاه فضلاً عن أن التربية الحديثة قد "أخفقت إلى حدّ كبير في حمل الأفراد على فهم العالم الطبيعي" (١٢).

أما أزمة النظم التربوية الحديثة اليوم فإنها "تكمن في سوء التوجيه الذي يتمثل في خلق السلوك النفعي الذي كثيراً ما يفتقر إلى المعايير الأخلاقية والإنسانية" (١٣). "وأن ما نعمله يعكس مفاهيمنا عن الحياة والمجتمع والإنسان الذي نريده" (١٤).

٩- اليونسكو، النشرة الإعلامية لبرنامج اليونسكو البامبيبية الدولية للتربية البيئية، مؤسسة جواد العناني للدراسات: عمان، مجلد ١٥، عدد ٢، ١٩٩٠م.

١٠- محمد سعيد صباريني ومحي الفرخان: التربية البيئية، وزارة التربية والتعليم: الجمهورية اليمنية، ١٩٩٣م، ص ٥٣ - ٥٤.

١١- محمد سعيد صباريني ورشيد محمد الحمد: الإنسان والبيئة "التربية البيئية"، ١٩٩٤م، ص ٢١٦.

١٢- أحمد حسن المرشدة: استقصاء أثر تضمين البعد البيئي في تدريس الدراسات الاجتماعية على اتجاهات الطلبة نحو البيئة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية والفنون، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٨٩م، ص ٣.

١٣- كريستينا وولي: التربية البيئية والتنمية "مقالات في التربية البيئية". ترجمة: فائزة مهدي محمد وهدي زاهد محمد صالح، مركز البحوث والدراسات، وزارة التربية، العراق، ١٩٩٦م، ص ٣.

١٤- خالد العمري: الفلسفة التربوية للمعلم الأردني، مؤتم للبحوث والدراسات للعلوم الإنسانية، جامعة مؤتة، مؤتة، سنة ١٩٩٢، ع ٤، ١٩٩٢م، ص ٣.

وبما أن بعض الفلاسفة التربوية السائدة اليوم عانت طيلة تطورها التاريخي وحتى هذه اللحظة من تخبُّط واضطراب، هذه الفلاسفة التي تجسّد السلوك النفعي الواضح في سلوك الإنسان نحو البيئة موجّه نحو الاستغلال الاقتصادي دون غيره.

ويشير "ديفيد أور" إلى فشل الغرب في نشر الثقافة البيئية، ويُرجع ذلك إلى طغيان عصر التخصص الدقيق الذي أفقدهم القدرة على التفكير العام... وإحلال البيئات المصطنعة محل البيئات الطبيعية مما يفقد الناس إحساسهم بالانتماء إلى العلم الطبيعي^(١٥). وقد وجّه بدوره الدعوة إلى إعادة النظر في محتوى التعليم وفي العملية التربوية بمجملها^(١٦).

إن الحاجة إلى تزويد الإنسان بالقدرة على فهم ما تتميز به البيئة من طبيعة معقدة نتيجة للتفاعل الدائم بين مكوناتها البيولوجية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية ومدّه بالوسائل والمفاهيم التي تمكّنه من تفسير علاقة التكافل والتكامل التي تربط بين هذه المكونات المختلفة في الزمان والمكان ليساعدهم على إدراك الطريق الصحيح نحو استخدام موارد البيئة بمزيد من العقلانية والحيطه وتلبية الاحتياجات المادية والروحية في الحاضر والمستقبل والأجيال من بعدهم.

ولتحقيق ذلك لا بد من إطار فلسفي واضح محدّد قد أكدت غيابه المؤتمرات الدولية والإقليمية والدراسات التي أجريت في مجال البيئة والتربية البيئية ليكون هذا الإطار الموجّه للنظام التربوي وإحداث التغيير المنشود وتمكينه من تحويل الإدارة إلى فعل وتقييم ذلك الفعل ومدى فعاليته. إن معظم مشاكل البيئة يحسمها مبدأ الإيمان لتحقيق العدالة بين الإنسان وبيئته ومبدأ "لا إفراط ولا تفريط" مع الاتزان العقلاني في استغلال موارد البيئة فضلاً عن إيجاد قاعدة خلقية تتحكم في العلاقة بين الإنسان والبيئة وتلافي النقص في إدراكه الواعي لحقيقة دوره في الحياة وعلاقته الصحيحة والسليمة مع البيئة.

والإسلام قد قدّم ولا يزال يقدم إطاراً نظرياً وعملياً غنياً بالأخلاقيات البيئية والسلوكيات المسؤولة تجاه البيئة^(١٧)، وقد استخلف الله سبحانه وتعالى الإنسان على كوكب الأرض ومنحه العقل والقوة وسخر له كل شيء وأمدّه بأسباب الحياة والعيش ليعمر الأرض "البيئة" التي أحكم الله

١٥ - ديفيد أور: التثقيف البيئي، ترجمة: فائزة مهدي محمد وهدي زاهر، مركز البحوث التربوية، وزارة التربية، العراق، ١٩٩٦م، ص ١١.

١٦ - المرجع السابق، ص ١٢.

١٧ - إبراهيم زيد الكيلاني: حماية البيئة في الإسلام، دراسات العلوم الإسلامية، السنة ١٩، ع ٤، ١٩٩٢م، ص ١٧٥.

جل وعلا خلقها وصنعها كما ونوعاً ووظيفةً، لقوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (١٨)، فكل شيء عنده بمقدار بحسب علمه، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (١٩) فهي بيئة قد ذللها الله العلي القدير لقوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٢٠)، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٢١).

إن عناصر البيئة في حركة ذاتية دائبة من ناحية، وفي حركة توافقية انسجامية مع بعضها من ناحية أخرى في ظل نظام معين غاية في الدقة تحكمه النواميس الكونية الإلهية. إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان ووضعه له المنهج والقوانين والأسس التي تحكم وتضبط حركة الحياة على الأرض وتكفل علاقة سوية متوازنة بين مكونات البيئة نفسها وبين البيئة والإنسان، فاستخلاف الإنسان الأرض يعني وصايته عليها لا مالك لها فهو مستخلف على إدارتها واستثمارها وحفظها من أي تدمير أو تخريب، والعقلانية في استخدامها الأمثل ليضمن حق الأجيال المتعاقبة على وفق المبادئ التي وردت في القرآن الكريم.

إن مشكلات الوطن العربي البيئية ومنها العراق تختلف عن المشكلات التي يعاني منها العالم الصناعي، ومشكلاته تتحدد في التصحر ومشكلة الحياة والسكان والصحة والغذاء. والتلوث البحري والمائي بشكل عام، وقد تعرّض العراق إلى تلوث نتيجة عالمية التلوث من جهة ونتيجة العدوان الثلاثيني الأطلسي على عموم الوطن والذي ترك آثاراً بيئية مدمرة للنباتات البحرية والغلاف الجوي والبيئة البرية وعلى صحة الإنسان، بالإضافة إلى تأثيره على الحيوانات والنباتات.

لقد أجمع الباحثون على أن التربية البيئية تستطيع استثمار الاهتمام الذي أكدته المؤتمرات الدولية والإقليمية والمحلية حول البيئة لمواجهة الأزمات البيئية العالمية.

١٨ - سورة النمل، الآية: ٨٨.

١٩ - سورة الفرقان، الآية: ٢.

٢٠ - سورة الملك، الآية: ١٥.

٢١ - سورة لقمان، الآية: ٢٠.

ويرى بارك: أن التربية البيئية مثقلة بالعديد من المشكلات الناجمة جزئياً عن الحاجة لإيجاد موقع تربوي وآفاق مساقية، ويعتبر عدم وجود فلسفة للتربية البيئية متفق عليها وقابلة للتطبيق مشكلةً محددة ومطروحة للتربويين والبيئيين على حد سواء^(٢٢).

وقد أكدت الدراسات السابقة التي تناولت موضوعات البيئة ومشكلاتها ودور التربية البيئية ومعوّقاتها - جميعها - على غياب الإطار الفلسفي الأصيل في توجيه التربية وتحديد أدوارها ووظائفها وكذلك أكدت على غياب القواعد الأخلاقية والقيمية وضعف إحساس الإنسان البيئي وعلاقته بالبيئة ودوره في حسن استغلالها واستثمارها وحمايتها للحاضر والمستقبل.

والدراسة الحالية تتلمس الطريق للوصول إلى ملامح فلسفة تربية إيمانية للبيئة في ضوء الرؤية القرآنية من منطلق أن تراث الأمة يشتمل على القرآن الكريم والسنة الشريفة وما لهما من صفة الاستمرار وهو بحاجة إلى دراسته دراسةً عمليةً والرقي إلى تبني موقف علمي من الوجود المحيط "البيئة". وانطلاقاً من هذه الأهمية فإن البحث الحالي يهدف إلى محاولة التوصل إلى المبادئ الإيمانية للتربية البيئية في الإسلام.

المصطلحات: التربية:

يعرفها الخطيب: بأنها "تعني التنشئة والنهوض والإصلاح وإظهار القوى، وتتوجه نحو الإنسان والمجتمع والثقافة والتراث والإيديولوجية"^(٢٣).

وعرفها مطاوع: بأنها "تنمية متكاملة لخصائص الإنسان كافة العقلية منها والجسمية والنفسية والاجتماعية... أي عملية تنشئة اجتماعية للإنسان بما يكفل له نمواً شاملاً متكاملًا يؤهله

٢٢ - س. بارك: نحو فلسفة للتربية البيئية، تعريب: محمد سعيد صباريني، رسالة المعلم، وزارة التربية

والتعليم: الأردن، مجلد ٢٩، ع ٢، ١٩٨٨م، ص ٣٩.

أبو بكر أحمد باقادر وآخرون: دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام، جامعة الملك عبد العزيز،

جدة، ١٩٨٣م، س. بارك: التربية البيئية، ١٩٨٥م، س. بارك: نحو فلسفة للتربية البيئية،

١٩٨٦م، ضياء الدين سردار: نحو نظرية إسلامية عن البيئة، ١٩٨٧م، إبراهيم زيد الكيلاني: حماية

البيئة في الإسلام، ١٩٩٢م، محمد سعيد صباريني: أهمية الحاجة للأخلاق البيئية، ١٩٩٣م، عزيز:

أهمية الأخلاق البيئية وحاجتنا لها، ١٩٨٥م، مصطفى علي خليل وعبد فائز محمد: معالم إطار نظري

للتربية البيئية من منظور إسلامي، ١٩٨٩م.

٢٣ - محمد بن شحات الخطيب، دور التربية في تحقيق التكامل بين البيئة والتنمية في أقطار مجلس التعاون

بالخليج العربي، ندوة البيئة والتنمية، (د. ن) الرياض، ١٩٩٢م، ص ١٥.

للتوازن مع بيئته" (٢٤). ويعرّفها الباحث: أنها عملية تسعى لإعداد الإنسان بما يحقق له النمو الشامل المتكامل عقلياً وجسدياً وروحياً ونفسياً واجتماعياً بطريقة تؤهله للتعامل الأخلاقي مع ذاته أولاً ومع مجتمعه ومع البيئة ثانياً.

التربية البيئية:

مما ورد ذكره في تعريفها في مؤتمر مدينة جامي بفنلندا (١٩٧٤م) أنها "أحد وسائل تحقيق أهداف حماية البيئة تؤخذ في إطار برنامج التربية مدى الحياة"، وفي ندوة بلغراد (١٩٧٥م) أنها "تهدف إلى تكوين جيل واع ومهتم بالبيئة وبالمشكلات المرتبطة بها ولديه من المعارف والقدرات العقلية والشعور بالالتزام ما يتيح له أن يمارس فردياً وجماعياً حل المشكلات القائمة وأن يحول بينها وبين العودة إلى الظهور" (٢٥).

ويعرّفها الباحث: هي عملية هادفة تعدّ الإنسان لتحقيق لديه الأهداف الموسومة بتكوينه إنساناً واعياً بيئياً، والمؤمن والمتكّن علمياً وتربوياً، الذي يفهم أدواره وعلاقاته مع البيئة بما يكفل له حماية النظام البيئي والمساهمة في حل مشكلاته، والتصدي لكل ما من شأنه أن يؤدي إلى تدهور أو تدمير نظام الحياة.

البيئة:

ورد في القرآن الكريم ما يدل عليها في قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ (٢٦).

وفي الحديث الشريف قال أنس: "إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثم من تعمد عليّ كذباً فليتبوّأ مقعده من النار" (٢٧).

-
- ٢٤ - إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية، دار الشرق للنشر، جدة، ١٩٩٢م، ص ٣١.
- ٢٥ - إبراهيم عصمت مطاوع: التربية البيئية: دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة الطالب الجامعي: مكة المكرمة، ١٩٨٦م، ص ١٤.
- ٢٦ - سورة الأعراف، الآية: ٧٤، انظر: سورة النحل، الآية: ٤١، سورة العنكبوت، الآية: ٥٨، سورة يوسف، الآية: ٧٥، سورة يونس، الآية: ٨٧، سورة الزمر، الآية: ٧٤.
- ٢٧ - أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٥٢.

ومصطلحاً هي: "الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان بما يضم من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها" (٢٨).

النظام البيئي:

وحدة طبيعية تتألف من مكونات حيّة وأخرى غير حيّة تتفاعل فيما بينها أخذاً وعطاءً مُشكّلة حالة من التوازن الديناميكي أو المرن (٢٩)، أو: "أن النظام الإيكولوجي، وحدة بيئية تكاملية صغيرة كانت أو كبيرة تتكون من مكونات عضوية "حيّة" تتفاعل مع مكونات بيئتها الطبيعية غير العضوية "غير الحيّة" وفق نظام دقيق ومتوازن تحكمه النواميس الإلهية في دينامية ذاتية لتستمر في أداء دورها في مدّ الحياة" (٣٠).

فلسفة التربية:

يرى نلير: "بأنها تسعى إلى فهم التربية في كليتها الإجمالية وتفسرها بواسطة مفهومات عامة تتولّى قيادة اختيارنا للغايات والسياسات التربوية" (٣١). أما فلسفة التربية البيئية فقد عرفها بارك: بأنها "طريقة حياة تقدّم تصوّراً جديداً للقيم الإنسانية على الصعيدين البيئي والروحي وتطرح جملة من المفاهيم الفلسفية الجديدة هدفها توطيد التناغم في حياتنا وفي العالم وتعيد هذه المعرفة والقيم إلى مكانها وإحداث التغيّرات المطلوبة منها لبناء الإنسان المتوافق مع نفسه ومع بيئته" (٣٢).

ويعرفها الباحث: بأنها "الرؤية والمبادئ والأسس الأخلاقية النابعة من النظرة الإلهية للكون والإنسان والحياة - الدنيا والآخرة - لتقدم تصوّراً عن القيم الإنسانية والأخلاق البيئية المادية والروحية، وتطرح مجموعة مفاهيم فلسفية، تسعى إلى فهم النظام البيئي وعلاقة الإنسان به، وإلى فهم العملية التربوية البيئية وتفسرها بما يسهل صياغة الغايات والمقاصد والأهداف التربوية العامة لرسم استراتيجيات والسياسات التربوية لقيادتها وتوجيهها لبناء الإنسان المؤمن والواعي المتوافق مع نفسه

٢٨ - زين الدين عبد المقصود: البيئة والإنسان رؤية إسلامية، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٦م، ص ١٣.

٢٩ - محمد سعيد صباريني و رشيد محمد الحمد: الإنسان والبيئة التربوية البيئية، ١٩٩٤م، ص ٤٧.

٣٠ - زين الدين عبد المقصود: المرجع السابق، ص ٢٦ - ٢٧.

٣١ - جورج ج. ف. نيلر: تأملات في فلسفة التربية، ترجمة: نظمي لوقا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،

١٩٧٧م، ص ٧-٨.

٣٢ - س. بارك، نحو فلسفة للتربية البيئية، ص ٤١.

ومع بيئته بما يكفل الاستثمار الأمثل للموارد الطبيعية ويكفل الحفاظ على نظام تطوير الحياة واستقامتها وديمومتها.

الإطار النظري:

أولاً: الدراسات السابقة:

على الرغم من حداثة التربية البيئية باعتبارها مكوناً جديداً من مكونات التربية فقد حظيت باهتمام كبير وواسع على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي، حيث أولى الباحثون اهتمامهم بأمور التربية وبمجالات التربية البيئية الأخرى، إلا أن البحث في الجوانب الفلسفية للتربية البيئية لم ينل الاهتمام الكافي والوافي. غير أن الباحث استطاع أن يحصل على بعض الدراسات والبحوث التي تناولت جوانب من التربية البيئية وأخرى في فلسفة التربية البيئية. فقد قُدم بعض منها في مؤتمرات دولية^(*) يمكن لنا تلخيص بعض نتائجها فيما يأتي:

- ١- وضع مبادئ توجيهية للتربية البيئية.
 - ٢- وضع معايير موجهة للتربية البيئية وتحديد الغايات والأهداف.
 - ٣- تأكيد أهمية التربية والوعي العام لتحقيق التنمية المستدامة.
 - ٤- تحقيق وعي بيئي وتنموي لمختلف فئات المجتمع.
 - ٥- اعتبار التربية البيئية جزءاً من التربية العامة وتقع ضمن برامجها.
 - ٦- تعزيز المواقف والقيم والأعمال المنسجمة مع التنمية المستدامة.
 - ٧- أهمية تحديد أهداف التربية البيئية واستراتيجياتها "وطنية وعالمية" ومساهمتها في توجيه نظم التعليم نحو نماذج بين البيئة الطبيعية والاجتماعية.
 - ٨- حاجة التربية البيئية إلى أساس فلسفي واضح يوجهها ويدرس نظامها.
- أما الدراسات التي استفاد منها الباحث هي:
- دراسة أبي بكر وآخرين ١٩٨٣م عن حماية البيئة في الإسلام:

(*) منها:

مؤتمر بلغراد، ١٩٧٥م، مؤتمر برازفيل، ١٩٧٩م "أفريقيا"، مؤتمر بانكوك، ١٩٧٦م "آسيا"، مؤتمر هلسنكي، ١٩٧٦م "أوروبا"، مؤتمر بوغاتا، ١٩٧٦م "أمريكا اللاتينية"، مؤتمر الكويت، ١٩٧٦م "الوطن العربي"، مؤتمر تبليسي، ١٩٧٧م "جورجيا"، مؤتمر ريودي جانيرو، ١٩٩٢م "مؤتمر الأمم المتحدة".

تناولت الدراسة مجموعة من الآيات القرآنية عن الكون الذي خلقه الله بمقدار "كَمَا وَكَيْفًا" وأن الإنسان جزء من الكون ولكنه يتميز عن سائر مخلوقاته ويحتلّ موقعاً خاصاً في هذا الكون الفسيح، ومن هذا الموقع قضت حكمته جل جلاله أن يستخلف هذا الإنسان في الأرض لتحقيق:

- ١- الاستثمار والانتفاع والتعمير والتسخير لمنافعه ومصالحه.
- ٢- وهو مدير لهذه الأرض لا مَالِك لها ومنافع لا متصرّف لأنه مستخلف على إدارتها واستثمارها.
- ٣- كون الأرض أمانة في عنقه، عليه أن يتصرّف فيها تصرّف الأمين في حدود أمانته.
- ٤- أن موارد الحياة حق للجميع، فهي تشكّل ملكية الأجيال لأنهم شركاء والتصرف لمصلحة الجميع ولمصلحة الأجيال.
- ٥- تحقيق الانتفاع، كل حسب حاجته دون الإخلال بمصالح الأجيال اللاحقة لا إفراط في الاستثمار ولا تشويه لها ولا إفساد(٣٣).

أما دراسة (بارك ١٩٨٣م) عن مشكلات وأولويات وتوقعات التربية البيئية، فقد توصلت إلى القصور الذاتي وعلاقته بالتطور وأن مجال التربية البيئية يعاني من أزمة الهوية بين قطاعات المناهج، وتعدد وجهات النظر حول التربية البيئية واتساع جمهورها، ضرورة إيجاد أساس فلسفي لها(٣٤). وتناولت دراسة سيدون (١٩٨٥م Seddon)، الجانب التطبيقي للتربية البيئية مع التأكيد على ثلاثة جوانب لها علاقة بالتعليم البيئي وهي "المحافظة على البيئة الطبيعية - تنظيم استثمار الموارد - منع التلوث". وتوصل "سيدون" إلى أن أسباب مشكلات التعليم البيئي هي عمليات الاستغلال السيئ للبيئة والحاجة إلى مجتمع متمسك بالقيم أكثر من حسابات الاقتصاد(٣٥).

وهدفت دراسة (عزيز، ١٩٨٥م) إلى أهمية الأخلاق البيئية وتوصلت إلى أن الثقافة الصناعية العالمية تجاهلت القيود البيئية دون تطوير أخلاقيات بديلة تضمن سلامتها، وضرورة وضع

٣٣ - أبو بكر أحمد باقادر وآخرون، دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٨٣م.

٣٤ - كريستوفر بارك، التربية البيئية المشكلات والأولويات والتوقعات، ترجمة: محمد سعيد صباريني، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٨٣م.

٣٥ - Seddon George. *Problems in Environmental Education: The Australian Case. Environmental Education and Information*. 1985.

استراتيجيات لبعث وتجديد الأخلاقيات البيئية، وأن تركز مضامين التربية البيئية على تربية خلقية غير مباشرة وعلاقة الإنسان بالبيئة وبالكائنات الأخرى^(٣٦).

ويعود (بارك) عام ١٩٨٦م إلى تقديم دراسة بعنوان: "نحو فلسفة للتربية البيئية" كان الغرض منها الحاجة إلى وضع إطار فلسفي للتربية البيئية يرتكز على الأساس العقلائي والنظرة الكلية المتكاملة للبيئة البشرية وتوجه "بينموضوعي" يتخطى حدود المناهج، والتأكيد على التوجه المستقبلي، وتأكيد الأساس الاجتماعي لإيجاد شعور بالمسؤولية، والمشاركة النشطة بهدف تغيير نمط السلوك والاتجاه نحو البيئة، والبحث عن خلق بيئي جديد يشمل الإنسان والكائنات الحيّة، والحاجة إلى فلسفة منيعة وقوية تتبوأ مكاناً مرموقاً في بنية التعليم النظامي^(٣٧).

وعن الخلق البيئي توصلت دراسة سيمونس (Simmons ١٩٨٨م) إلى ضرورة وضع السبل أو الموجهات لتعليم الأخلاق البيئية في المدارس^(٣٨). وقد درس (سردار، ١٩٩١م) موقف الإسلام من الأخلاقيات البيئية وتوصل إلى أن المبادئ والأخلاقيات البيئية تحظى باحترام وإجلال في إطار التراث الإسلامي وأن مناهج السلوك المتبع والتطور السائد في العالم الإسلامي يغلب عليهما الطابع الغربي، وأن الحلول القابلة للتطبيق فيما يخص واقع البيئة المتأزم موجود في النظرة الشاملة للإسلام^(٣٩). ودرس (الكيلائي، ١٩٩٢م) موقف الإسلام وتوجهاته البيئية، وخلصت الدراسة إلى التوجيهات الإسلامية الآتية لحماية البيئة والتعامل معها وهي:

* أن البيئة أمانة أودعها الله لدى الإنسان حتى ينتفع بها ويرعاها ويحسن التعامل معها.

* أن يعرف البشر حق الله وحقهم في هذه البيئة.

* أن يعرف الناس جمال البيئة ويحافظوا على أسباب ذلك الجمال^(٤٠).

وتوصل أسوبا (Asopa ١٩٩٢م)، من خلال دراسته التي استهدفت نظرة "الهندوسية" لعلاقة الإنسان بالبيئة إلى أن الأخلاقيات البيئية اعتراها كثير من التغيير نتيجة الغزو الثقافي الأجنبي والنزعة الاستغلالية، ودعا فيها إلى ضرورة تبني أخلاقيات بيئية من خلال العودة إلى النصوص

Yaziz M. *Environmental Ethic's selander. Malaysia. Final Report of the sub-regional Training work-shop on non-formal environmental education*. 1915. Gramme serdang. 1985. — ٣٦

س. بارك: المرجع السابق. — ٣٧

Simmons D.R. *Environmental Education and Environment Ethics Theory. Environmental Education and Information*, 7 (2), 1988. — ٣٨

ضياء الدين سردار: المرجع السابق. — ٣٩

إبراهيم زيد الكيلائي: المرجع السابق. — ٤٠

الدينية(٤١). وعن أهمية الأخلاق البيئية توصل صباريني (١٩٩٣م Subbariny)، إلى أن برامج التربية البيئية الحالية "عالمياً" لا تعطي المنحى القيمي حقه من الأهمية؛ وأوصى بضرورة تنمية القيم الأخلاقية البيئية كونها تمثل القوة الموجهة للسلوك الإنساني تجاه البيئة(٤٢). وتوصلت دراسة (السقاف، ١٩٩٤م) التي تناولت موضوع "نحو فلسفة للتربية البيئية" إلى غياب الأساس الفلسفي في توجيه التربية البيئية، ونصّ فيها على أن تكون الموجهات للفلسفة التربوية البيئية الآتي:

* النظرة الشاملة للبيئة.

* التوجه العقائدي الذي يعطي الإنسان حق الانتفاع بموارد البيئة تحت مبدأ الخلافة المسؤولة(٤٣).

التعقيب على الدراسات السابقة:

على الرغم من أن جميع الدراسات العربية تناولت موضوعات في غاية الأهمية عن حماية البيئة وموقف الإسلام منها وعن الأخلاقيات البيئية إلا أنها لم تتوصل إلى المرتكزات الفلسفية التي تشكل ملامح الفلسفة التربوية البيئية الإيمانية فضلاً عن أنها لم تأخذ بالرؤية القرآنية كاملة تجاه البيئة استثماراً وحمايةً ووصايةً، ويمكن القول أن هذه الدراسات توصلت إلى حقيقة المشكلات البيئية وإلى تأثير الفلسفات المادية والعلمانية "النفعية" على أخلاقيات الناس وموقفهم غير المتوازن واللامسؤول من البيئة، وأنها شخّصت إهمال الجانب العقدي والقيمي والحاجة إلى إطار فلسفي يوجّه التربية البيئية في بناء الإنسان الواعي بيئياً والمدرّك للتعامل المسؤول مع البيئة وعلاقته المتوازنة بها.

وجميع الدراسات انتقدت البرامج الخاصة بالتربية البيئية الموجودة على الرغم من نشاطها وفعاليتها ونسبت إليها أنها لم تحقق النجاح المطلوب لإهمالها الجانب العقدي والقيمي وإلى الأخلاقيات البيئية اللازمة إضافة إلى كون هذه البرامج لا تزال تحت مظلة النفعية لأنها ربطت مصيرها بالتنمية المستدامة، وبالتنمية الاقتصادية. ويمكن القول أن بعض هذه الدراسات أوصت فعلاً بإعادة النظر في الموقف المتخذ من البيئة وذلك وفق أخلاقيات وقيم تحدّد من النمط الغربي فكراً وسلوكاً.

ويمكن إيجاز ما توصلت إليه هذه الدراسات في الآتي:

٤١ - Asopa Sheel K. *Environmental Ethics. A Hindu perspective. Environmental Education and*

Information, 11 (3), 1992.

٤٢ - Subbariny, Mohammed S. *Biocentrism as Approach to Environmental Education Information*,

12(3), p 207-212, 1993.

٤٣ - أحمد محمد عبد الإله السقاف: نحو فلسفة للتربية البيئية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية

والفنون، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٩٤م.

الأول: أن برامج التربية البيئية رغم ما حقته من نمو على المستوى العالمي إلا أنها أهملت الجانب العقدي والقيمي، وهو ما جعلها تنوء بالمشكلات والمعوقات.

الثاني: أن حقيقة المشكلات البيئية والأزمة البيئية نتجت عن الخلل في علاقة التوازن بين الإنسان والبيئة الذي أحدثته المؤثرات الثقافية المادية العلمانية النفعية - ثقافة المجتمع الصناعي في الغرب - والنمط الاستهلاكي ذي الطابع الاستغلالي الذي طمس الكثير من معالم الأخلاقيات البيئية الفاعلة في سياق ثقافات ومعتقدات وتراث الشعوب لما قبل إنسان الصناعية ومنها ما يمس الجانب النظري الفلسفي الذي ورد في القرآن الكريم.

الثالث: دعت هذه الدراسات إلى إعادة النظر في الموقف من البيئة الذي يغلب عليها النمط الغربي فكراً وسلوكاً وتطوراً.

الرابع: حاجة التربية إلى إطار فلسفي يقودها ويوجهها.

ثانياً: موقف الديانات الوضعية من البيئة وعلاقة الإنسان بها:

للتربية البيئية جذورها التاريخية في ثقافات الشعوب وقد اهتمت الأديان الوضعية بالبيئة وبالأخلاقيات البيئية انطلاقاً من "كون الحسّ الديني يكمن في أعماق كل قلب بشري" (٤٤). وأن للتربية البيئية مرتكزاً أخلاقياً واضحاً باعتباره اتجاهاً وفكراً يهدف إلى تمكين الإنسان من امتلاك خلق بيئي يوجّه سلوكه وتصرفاته في تعامله مع البيئة (٤٥). ومن هذه الديانات:

الهندوسية:

ترى هذه الديانة أن الإنسان جزء لا يتجزء من الطبيعة، وأن احترام كل الأحياء جزء من فلسفة هذه الديانة، وترى أن الطبيعة والإنسان هما من صنع الخالق، والإله الأوحد عندهم هو كل الحياة (٤٦)، وهي تؤمن بالمساواة بين كل الأحياء لأنها جميعاً من صنع "أتمان" (٤٧) وجميع المخلوقات هي تعبيرات عن كائن واحد لا يتجزأ. والكون في نظرها يتكون من السماء والماء والهواء والنار

٤٤ - جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع ١٧٣، ١٩٩٣م، ص ١٠٢.

٤٥ - سمير عبد المنعم أبو العينين: أصول الأخلاق الدولية فلسفة العلاقات الدولية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٢٣.

٤٦ - كافلين رايلي: الغرب والعالم، ترجمة: عبد الوهاب يسري وهدي حجازي، الكويت، ١٩٨٥م، ص ٢٥٦.

(٤٧) أتمان: الروح في أسفار الفيديا الهندية.

والأرض، وتؤكد المعتقدات الهندوسية على أهمية الحفاظ على الأشجار لأنها كائنات حيّة تحس ويقدّسون البقرة لأنهم يرون الله فيها وكذلك الثور والفيل، وكل من يقتلها أو يبيع لحمها أو يطبخه فهو مجرم^(٤٧)، وهنا يمكن القول أن الديانة الهندوسية في الأساس ديانة بيئية^(*).

البوذية:

مؤسس هذه الديانة "جوتاما"^(***) وأطلق عليه "بوذا" أي المستنير. فهي تركز على مبدأ الشفقة بالكائنات الحيّة وعدم التسبّب في تدمير الحياة، وأن الكثير من المشكلات البيئية نابعة من الإفراط في الاستهلاك وتدعو البوذية إلى قتل الشهوات والتقشف والعطف تجاه الكائنات الحيّة "فلا يحق لبوذي أن يقتل حيواناً حتى لو كان للأكل باعتباره أحاً له في الخلق. ومن تعاليم بوذا أنه يجب على كل إنسان أن يغرس في نفسه الحب العميق الصادق لسائر الخلق". وقد وضع بوذا وصايا عشراً تعتبر أساس الأخلاق الفاضلة، والوصية الأولى تشير إلى "ألاً تقتل أحداً ولا تقضي على حياة حي"^(٤٨).

الكونفوشوسية:

تدور تعاليمها حول الفضائل والأخلاق ... وهي تحتّ على الأخلاق البيئية التي تعتمد وتركّز على الإنسان لأن التدهور البيئي يولّد آثاراً خطيرة ومؤذية على الآخرين وهذا مخالف لمبادئ الاحترام وحب الآخرين والعدالة. ودعت ضرورة الانسجام الكلي مع الطبيعة، ومن أقوال كونفوشوس: "ومن الخير أن نتفاعل مع الطبيعة، فإذا استطعنا أن نوفق بين غرائزنا والطبيعة أصبحنا في مرتبة معادلة للسماء والأرض وذلك لأن جميع الأشياء حيّة وتغمرها الروح فيجب الاطمئنان إلى الحياة بوداعة ومحاولة العيش بسعادة"^(٤٩). وقد اختلف تلامذة كونفوشوس بعد وفاته (٤٧٩ق.م)

٤٧ - رشدي عليان وسعدون الساموك: الأديان، القسم الأول، جامعة بغداد، دار الحرية للنشر، بغداد، ١٩٧٨م، ص ٨٩.

(**) انظر: أحمد السقاف: المصدر السابق، ص ٧١ - ٧٢.

(***) Gautama: أي الراهب.

٤٨ - انظر: سمير عبد المنعم أبو العينين، المرجع السابق، ص ٢٢٦، أحمد شبلي، مقارنة الأديان "أديان الهند الكبرى"، ط ٨، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦م، ص ١٧٧-١٧٨، جفري بارندر: المرجع السابق، رشدي عليان والساموك، المرجع السابق، ص ٩٩.

٤٩ - انظر: سمير عبد المنعم أبو العينين: المرجع السابق، ص ٢٣١، أحمد السقاف: المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥، رشدي عليان والساموك: المرجع السابق، ص ١٠٧، ١١٢.

فكان "منشيوس" يرى أن الطبيعة البشرية خيرة بفطرتها لكن يمكن أن تنحرف ما لم تره على نحو قويم. في حين يرى "هسون تسو" أن الطبيعة البشرية في الأساس شريرة وأن العقل هو مركز الكون ومن خلال الفهم الكامل للطبيعة يستطيع الناس أن يسيطروا على الكون وعلى بيئتهم^(٥٠).

الطاوية:

تحمل كلمة طاو (Tao) الصينية معنى الطريق أو المنهج، إذ أسسها كل من "لاوتسو" و "تشوانج تسو"، وهي تشكل جانباً من الحياة الدينية في الصين. وهذه الديانة تنطوي على حياة هادئة تتسم بالبساطة تدعو إلى ترك الأمور على طبيعتها تسير في تناغم وكمال وأي تدخل بشري يعني تدمير الطبيعة ومن نصوص "طاو تشي شنج": "ولا تأتوا عمالاً معادياً للطبيعة فليس ثمة ما لا يمكن تنظيمه تنظيمًا حسنًا" و"ينبغي ألا تلحق الأذى حتى بالحشرات والمخلوقات الزاحفة أو الأعشاب والأشجار"؛ فهي تؤكد الاستسلام إلى الطبيعة وألف كل شيء فيها. فالطاوية تؤكد على الأخلاق البيئية وضرورة الانسجام بين الإنسان والطبيعة، والطبيعة تشكل وحدة متكاملة وللإنسان موقعه المناسب فيها.

ثالثاً: موقف الديانات اليهودية والمسيحية من الطبيعة وعلاقة الإنسان بها:

الديانة اليهودية:

إن أسفار العهد القديم أكدت لعنة الأرض نظراً للخطيئة التي اقترفها آدم بالله من الشجرة المحرمة. وجاء في سفر التكوين (الإصحاح الثالث: ١٧-١٨) "وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك...". وقد ربطت علاقة الإنسان بالطبيعة بالخوف والوعيد وظل التخويف بعناصر الطبيعة وسيلة الإيمان في العهد القديم. ويعطي سفر التكوين الإنسان حق السيطرة في استغلال الأرض دون أي قيد أخلاقي وفي (الإصحاح الأول: ٢٦) "قال الله نعمل الإنسان على صورتنا لشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدواب التي تدب على الأرض" وجاء فيه أيضاً "وباركهم الله وقال لهم اثمروا وأكثروا واملؤوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (الإصحاح الأول: ٢٨)^(٥١). ويرى سفر الجامعة (الإصحاح

٥٠ - انظر: سمير عبد المنعم أبو العينين، المرجع السابق، ص ٢٣١، أحمد السقاف، المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.
٥١ - انظر: كافين رايلي، الغرب والعالم، ص ٢٥٨، جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، أحمد السقاف: نحو فلسفة للتربية البيئية، ص ٧٥-٧٦، رشدي عليان والساموك، المرجع السابق، ص ١١١.

الثالث: (١٩١٧) أن الإنسان والحيوان شيء واحد "فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل"، يمكن القول أن الديانة اليهودية سلطت الإنسان ومنحته حق السيطرة المطلقة على الأرض دون مسؤولية^(٥٢).

الديانة المسيحية:

يرى بعض العلماء أن الديانة المسيحية هي المسؤولة عن الفصل بين الطبيعة والإنسان وإعطاء حق السيطرة والسيادة على الطبيعة لمنفعته. في حين هناك من العلماء المسيحيين من يرى أن موقف المسيحية من البيئة والأخلاق البيئية، وجوهر الإنسان المتميز في "إدارة ما يسيطر عليه بحكمة وعقلانية" في الوقت الذي يشير (أرنولد توينبي) إلى أن "الإنجيل لم يسلب الطبيعة قداستها ورهبتها القديمة فحسب، بل إنه نصح البشر بصفة خاصة أن يقهروا العالم الطبيعي"، ويؤكد (لين واين) على أنها أعطت الحق للإنسان في ممارسة القوة والتحكم في الطبيعة. وأن المسيحية لم تؤكد فصل الإنسان عن الطبيعة فحسب بل اعتبرت أن استغلال الإنسان للبيئة تحقيقاً لأغراضه هي إرادة الله.

يمكن القول من خلال ما تقدّم ومن خلال سلوك الغرب أن الأزمة البيئية المعاصرة تعود في أصولها إلى القاعدة الأخلاقية للمسيحية التي تؤكد تفوق الإنسان على الطبيعة وحقه في السيادة والسيطرة المطلقة عليها وحقه في قهرها^(٥٣).

ويرى وايت (١٩٦٧م، White) أنه قد أصبحت الأرض ملكية وظهر مفهوم الملكية الخاصة أيضاً وكما صورت الفلسفة اليهودية المسيحية بصورة خاصة الأرض على أنها متاع موهوب من الله للإنسان ويقول أنها الجذور التاريخية لأزمنا البيئية وأن مشكلاتنا الحديثة من تدمير الأرض وتلويثها قد نشأت من الفلسفات اليهودية - المسيحية^(٥٤).

٥٢ - انظر: محمد سعيد صباريني والرشيدي، المرجع السابق، ص ٢٢٠، شارلس هـ. سلوثويك، علم البيئة ونوعية بيئتنا، ترجمة: قيصر نجيب صالح وآخرون، جامعة الموصل، ١٩٨٤م، ص ١٧٣-١٧٤، كاصد ياسر الزبيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م، ص ١٠٩-١٣٦.

٥٣ - انظر: كافين رايلي، الغرب والعالم، المرجع السابق، ص ٢٥١ وما بعدها. ضياء الدين سردار، نحو نظرية إسلامية عن البيئة، المرجع السابق، ص ٧٧-٩٤، سفر التكوين (Genesis)، الإصحاح الأول والثالث والثامن، ٧-٨، ١٧-١٩، ٢٦، ٢٨.

٥٤ - شارلس هـ. سلوثويك، علم البيئة ونوعية بيئتنا، ص ١٧٣-١٧٤.

رابعاً: الفلسفات البيئية:

لقد بيّنت الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تناولت موضوع البيئة ومشكلاتها وعلاقة الإنسان بها أن النمط الغربي الاستهلاكي القائم على استغلال البيئة الطبيعية أشجع استغلال واستثمار مواردها بلا رحمة ولا قيود أو حدود، هو نتيجة تأثير الفلسفات المادية العلمانية على الأنظمة التربوية في الغرب ومنها التجريبية والوضعية المنطقية والبراجماتية... ونتيجة توظيفهم لنتائج الثورات العلمية التي سلّحت الإنسان بالتقنيات توظيفاً سلبياً مما سرّع في تخريب البيئة وإحداث خلل في التوازن بين الإنسان وبيئته، فالصناعات الثقيلة والأفران الذرية وتصنيع السموم والمبيدات واستخدام بعض الغازات والكيمويات الأخرى زادت في تفاقم المشكلات وتعقيد الحياة البيئية، والإنسان بهذا التوجه أصبح إنساناً معادياً للبيئة... البيئة التي خلقها الله سبحانه وتعالى مكاناً ومستقراً للإنسان، الذي جعله خليفته على الأرض ليستثمرها استثماراً عقلانياً موزوناً ويحيا حياة سعيدة في مأكله ومشربه وملبسه وغيرها.

إن شعار زيادة الإنتاج وتسريعه وتنويعه وإشاعة نمط الاستهلاك اللامحدود واستغلال نتائج العلم في التصنيع دفع بالإنسان في الغرب إلى مغامرات قهر الطبيعة واستثمارها استثماراً غير متوازن فساءت العلاقة بينه وبين بيئته فظهرت قيم وأخلاقيات تعبّر عن هذه العلاقة وخلق وعي تقني مادي علماني أهمل الجوانب الروحية والقيمية وقد كان هذا الواقع سبباً في ظهور فلسفات تناولت البيئة وعلاقة الإنسان بها ومن هذه الفلسفات:

١- الفلسفة الحتمية: (Determinism)

وتبلورت هذه الفلسفة في أواخر القرن التاسع عشر على يد فردريك راتزل الألماني "١٨١٠-١٨٩٢" ... وتبعه الجغرافيون في مطلع القرن العشرين^(٥٥). يتحدد الفكر الحتمي بأن الإنسان كائن سلبى أمام البيئة إذ أن مظاهر البيئة تؤثر فيه تأثيراً كبيراً وأن دوره مقتصر في الإذعان لما تمليه عليه الطبيعة في المكان والزمان وبذلك فالبيئة هي التي توجّهه وتأخذ بيديه. فسيادة الإنسان لا يمكن أن تكون إلا في الإطار الذي تسمح أو ترضى به الطبيعة^(٥٦).

٥٥ - أحمد نجم الدين وآخرون: الجغرافية البشرية، جامعة بغداد، بغداد، ط ١، ١٩٧٩م، ص ٢.

٥٦ - صلاح الدين الشامي: الندية بين الإنسان والطبيعة، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م، ص ٨.

وتشير مسٌ سمبل إلى أن الحتمية تؤكد أن البيئة هي كل شيء في حياة الإنسان وأن التطور البشري والجهود الإنساني لا يخرج عن كونه نوعاً من التفاعل السلبي مع البيئة وخضوعاً لها^(٥٧). ولهذه الفلسفة جذور تمتد إلى هيبوقراط "٤٢٠ ق.م" وأرسطو "٢٨٤-٢٢٢ ق.م"^(٥٨) والحضارة الإسلامية^(٥٩). إن تجاهل هذه الفلسفة لدور الإنسان يعني تجاهل للحقيقة لأنها أرجعت كل شيء بما فيه تنوع البشرية إلى تأثير الطبيعة "البيئة".

٢- الفلسفة الإمكانية: (Possibilism)

أول من أطلق هذا المفهوم هو لوسيان فيغر الفرنسي وتطورت هذه الفلسفة على يد كل من فينال لابلاش وبرين^(٦٠). والمقصود بها أن للإنسان حرية الاختيار فيما تقدّمه له البيئة من خيارات مختلفة وفق تباين البيئات مناخاً وتضاريس؛ وفي كل الأحوال فإنه لا يوجد شيء محتم بل إن أمام الإنسان مبدأ الاختيار والإمكانية ... فالإنسان قادر على استغلال مظاهر البيئة الطبيعية بما يتناسب وطموحاته وتبعاً لقدراته ... فقد أعطت هذه الفلسفة الإنسان حق السيطرة على البيئة وهو الذي يحدد طرق وطبيعة استغلالها عكس ما جاءت به الفلسفة الحتمية، ولكنهم يعطون وزناً للعوامل الطبيعية والعلاقات بين الظواهر المختلفة على سطح الأرض ويبقى الإنسان في المكان الأول^(٦١).

٣- الفلسفة الاحتمالية: (Probabilism)

حاولت هذه الفلسفة التوفيق بين الحتمية والإمكانية وقد تزعم هذه الفكرة جريف تيلور (Griffith Taylor) الذي استخدم حتمية الخطوة خطوة (Stopaudge Determines)، و ترى هذه الفلسفة بأنه لا يستطيع الإنسان تغيير البيئة الطبيعية تغييراً جوهرياً بل إن فعله لا يعدّ تعديلاً أو تحسيناً بما يخدم مصلحته^(٦٢)، وأن استغلال البيئة من قبل الإنسان لا بد أن يرافقه صلاحية البيئة ومساعدتها^(٦٣).

-
- ٥٧ - فؤاد محمد الصقار: دراسات في الجغرافية بشرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٤، ١٩٨١م، ص ٢١.
- ٥٨ - محمد رشيد الفيل وفؤاد محمد الصقار: أصول الجغرافية البشرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م، ص ١٨.
- ٥٩ - إبراهيم عصمت مطاوع: التربية البيئية دراسة نظرية تطبيقية، مكتب الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، ص ٩.
- ٦٠ - محمد رشيد الفيل وفؤاد محمد الصقار: المرجع السابق، ص ١٨.
- ٦١ - فؤاد محمد الصقار: دراسات في الجغرافية البشرية، ص ٣٧، ٤١، ٤٤.
- ٦٢ - محمد رشيد الفيل وفؤاد محمد الصقار: أصول الجغرافية البشرية، ص ١٩. وانظر: فؤاد الصقار، المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥.
- ٦٣ - زين الدين عبد المقصود: المرجع السابق، ص ٨.

٤- الفلسفة الندية: (Equalism)

تفسّر هذه الفلسفة في مضمونها العلاقة بين الإنسان وبيئته وذلك أن هذه العلاقة تبنى على أساس المصارعة الجادة بين الطبيعة والإنسان لإقرار صيغة التعايش في الزمان والمكان وهما ندان متكافئان. فلإنسان حقٌ في تحدّي البيئة وتوجيهها بما يملك من وسائل حضارية ليطوّعها، وينتصر عليها، فللبينة أيضاً القدرة على مقاومة تحدّي الإنسان؛ وبالمصارعة بينهما والمصالحة بعدها في الزمان والمكان يتحقق التوازن الأمثل بينهما وهكذا تستمر العلاقة بينهما على أساس المصارعة والمصالحة كندّين يحققان التوازن المطلوب في ظل الضبط والانضباط المتبادل^(٦٤).

٥- فلسفة جايا: (Gaia)

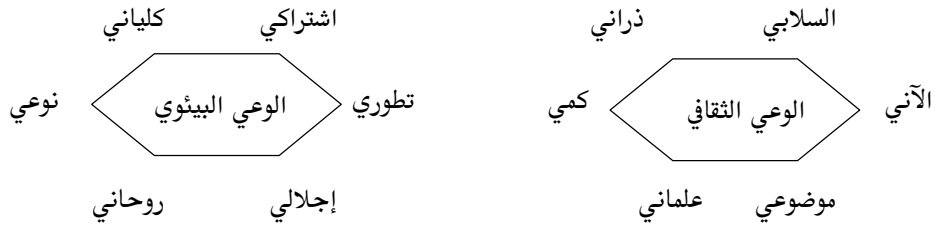
جايا هي آلهة الأرض عند اليونان وفيها اشتقت كلمة جيُو (Geo) أي الأرض، ويرى لفوك (١٩٩٣م) أن المجموع الحيوي ككل متكامل هو كيان ذاتي التنظيم له المقدرة في الحفاظ على الحياة على الأرض من خلال تحكمه في البيئة طبيعياً وكيميائياً، ويرى أن هذه المحافظة على حالة الثبات يمكن أن توصف^(٦٥) بالديمومة التوازنية (Homeostasis)، ويشكل الإنسان جزءاً من جايا وهو أهم نوع حيّ في هذا النظام الحيّ المعقد ويعدّ القوة الأكبر لتقرير الاتزان فيه الذي ينصّ على "أن الإنسان الذي قبل بدوره شريكاً في جايا لا يليق به والحال كذلك أن يكون سيّئ التصرف"^(٦٦).

٦- الفلسفة البيئية لسكوليموفسكي:

أسس هذه الفلسفة هنري سكوليموفسكي أستاذ الفلسفة البيئية في وارشو ومستشار اليونسكو في البيئة، لقد تصدّى سكوليموفسكي إلى الفلسفات الغربية المادية والعلمانية والوضعية المنطقية والإنسانية ونقد موقفها من الإنسان والبيئة، والمخطط المقارن الذي وضعه يوضّح أهم المبادئ التي تعبّر عن خصائص فلسفته البيئية التي نادى بها والمبادئ التي تعبّر عن خصائص الفلسفات الغربية^(٦٧). ويمكن توضيح المفاهيم (أو المبادئ) التي اعتمدها الفلسفة على النحو التالي:

-
- ٦٤ - صلاح الدين الشامي: الندية بين الإنسان والطبيعة، ص ٢٦.
- ٦٥ - ج. أي. لفوك. جايا: نظرة جديدة للحياة على الأرض، ترجمة: عادل أحمد جرار، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٣م، ص ٢٠.
- ٦٦ - محمد دبس: جايا والوعي البيئي الجديد، العلم والتكنولوجيا، ع ٢، ١٩٩٠م، ص ٢١.
- ٦٧ - هنري سكوليموفسكي: فلسفة البيئة، ترجمة: ديمتري افيريوس، الأبجدية للنشر: دمشق، ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٢.

- ١- أنها حياتية التوجُّه: أي أنها تسعى إلى فهم الحياة والطبيعة بعبارات رحمانية لأن الحياة ظاهرة إيجابية لها قوتها الخاصة بها ورسالتها هي مؤازرة الحياة.
- ٢- وتلتزم بالقيم الإنسانية وبالطبيعة نفسها. وترى أن القيم الأخلاقية قيم بيئية على قدم المساواة مع القوانين الفيزيائية، والقيم نتاج تفاصيل بين متغيرين أو أكثر في حالة معينة، وكما أن هذا التفاعل قائم لتنظيم ارتباط الكميات الفيزيائية مع بعضها فالقيم البيئية والأخلاقية تحقق تماسكاً راسخاً بين الحياة والوجود.
- ٣- وأنها حيّة روحياً: حالة عقلية، وحالة كينونة، وأن أول تجربة روحية عاشها الإنسان كانت تجربة حيّة تشعر بجمال الطبيعة وروعيتها.
- ٤- وأنها جامعة شاملة، فهي فلسفة صيرورة تكاملية منفصلة للذات فيما يتعلق بالفرد وتعايشه فيما يتعلق بالكون.
- ٥- ومهتمة بالحكمة.
- ٦- واعيّة بيئياً وبيئياً: ضرورة إحلال الطبيعة وإدراك أننا امتداد للطبيعة وأنها امتداد لنا وأن ننظر إلى القيم الإنسانية باعتبارها جزءاً من طيف أوسع تشارك فيه البيئة وتسهم في تحديده ... وحددت الوعي البيئي مقارنة مع الوعي الثقافي؛ والشكل الآتي يوضح ذلك (٦٨):



- ٧- وترى أن الاقتصاد متصل بنوعية الحياة، أي أن الاقتصاد الذي يستعين بالحياة هو اقتصاد يكون دائماً في نزاع مع الحياة نفسها.
- ٨- وأنها مهتمة اجتماعياً، فالمجتمع كيان فريد لا يمكن أن يُختزل في أفراد، والمجتمع وجه من وجوه الكيان الروحي للإنسان.
- ٩- أنها تجهز بالمسؤولية الفردية، في صون سيادة الفرد واستغلاله بحيث يستطيع ممارسة حقوقه ومسؤولياته بكل ما تعنيه الكلمة.

٦٨ - هنري سكوليموفسكي: المرجع السابق، ص ١٥١.

١٠- أنها متسامحة مع الظواهر التي تتعدى الفيزياء "المادة".

إن خطورة المشكلات البيئية وعالميتها فرضت على المفكرين والفلاسفة التصدي للفلسفات الحديثة الغربية "المادية منها والعلمانية، الوصفية والمنطقية" التي وجهت الأنظمة التربوية لبناء الإنسان الثقافي المستغل للعلم والتقنيات في تخريب الطبيعة وإحداث خلل في النظام الإيكولوجي، وقد اتضح من عرض هذه الفلسفات أن الحتميين يرون أن الإنسان خاضع للبيئة وإلى قوة فعلها وتأثيرها عليه، في حين يرى الإمكانيون أن العلاقة بينهما تبرزها مصالح الإنسان وطموحاته وقدراته في تطويع البيئة لمنفعته. أما الاحتمالية فقد حاولت التوفيق بينهما وترى أن العلاقة تتحدد وفق طبيعة البيئة^(٦٩) من جهة وتوعية الإنسان^(*) من جهة أخرى، وقد بسطت الفلسفة الندية تصوراً عن علاقتها، كونها قائمة على أساس الصراع بين ندين وعلى وفقها تتحدد صيغة العلاقة، وفلسفة جايا تنظر إلى أن الإنسان يشكل جزءاً من الأجزاء التي تؤلف مجموعها إطار الحياة جايا (Gaia)، وجايا كونه كائناً لديه الإمكانيات في جعل الأرض صالحة للحياة فإن الإنسان جدير به أن يكون سلوكه إيجابياً مادياً وروحياً تجاه هذا الكيان محققاً التوازن ذاتياً. أما فلسفة سكوليموفسكي فهي أكثر الفلسفات البيئية نزوعاً نحو روح الأخلاقيات البيئية فهي التي سلطت الضوء على الفلسفات الغربية والعربية والوضعانية المنطقية والبراجماتية واعتبرتها المسؤولة عن وعي الانسان البيئي، ذلك الوعي الثقافي الفاقد للعدالة الاجتماعية والروحية. إن المنظومة الأخلاقية الإيكولوجية في المجتمعات الصناعية والتي تشكل المبادئ الأساسية للتربية في العالم الصناعي قد حصلت على اتفاق عال في تلك المجتمعات إلا أن التعامل معها فلسفياً فرض اتجاهات فلسفية ثلاث هي الحتمية والإمكانية والندية^(٧٠) وتدور حول علاقة الإنسان بالبيئة والتي عكست تطور هذه العلاقة بين الإنسان والطبيعة، أما فلسفة كل من سكوليموفسكي وجايا فقد أخذتا منحى آخر أكدتا فيه على منظومة أخلاقية إيكولوجية تختلف عن تلك الفلسفات على الرغم من التقائهما في بعض المبادئ.

والذي يهمنا في هذا البحث هو أن نتعقب مبادئ المنظومة الأخلاقية الإيكولوجية في العالم

الغربي وهي التي لخصها سردار (١٩٩١م) في:

٦٩ - الحتم البيئي بيئات صعبة وبيئات سهلة.

(*) نوع الإنسان ... متطور أو متخلف.

٧٠ - صلاح الدين الشامي: الندية بين الإنسان والطبيعة، الجمعية الجغرافية الكويتية وقسم الجغرافية في

جامعة الكويت، الكويت، النشرة رقم ٧٨، ١٩٨٥م.

- ١- يؤثر كل شيء في البيئة بشكل مباشر أو غير مباشر.
 - ٢- تظهر الأرض تنوعاً جيولوجياً كبيراً، ولكل كائن حي مهما صغر دوره الذي يلعبه في هذا التنوع.
 - ٣- هناك عوامل بيئية معينة تحدّ من عمل وظائف الكائنات الحيّة التي يدخلها وفي الوقت نفسه فإن لدى النظم الحيّة قدرة عظيمة على التوالد بكثرة داخل النظم البيئية التي تعيش فيها.
 - ٤- الأرض نظام محدود تحكمه طاقه حاملة لا يمكن تجاوزها دون التسبب في اختلالات خطيرة.
 - ٥- النظم البيئية في حالة نُموٍ وتطوّرٍ، وهناك عمليات طبيعية تحمي هذه النظم من الاختلال (٧١).
- الرؤية القرآنية للبيئة وعلاقة الإنسان بها:

تعتبر البيئة كلاً متداخلاً ومتكاملاً والإنسان يعيش على كوكب الأرض وهي تمثّل في مجموعها نظاماً إيكولوجياً واحداً كبيراً، من هنا لا يمكن النظر إلى المشكلات البيئية نظرة منفصلة بل يفرض علينا أن ننظر إليها نظرة تكاملية إيمانية وأن تتجاوز مفهوم المشكلات المحليّة لأنها عالمية التأثير. وتعدّ حادثة المفاعل النووي في تشرنوبل عام ١٩٨٦م على سبيل المثال حادثاً محلياً في روسيا إلا أن الإشعاعات النووية أصابت الكثير من الدول الأوروبية المجاورة، إذا ينبغي أن يكون التوجه تعاونياً من أجل الخير ورفع الضرر لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٧٢) وقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (٧٣).

ويهدف التوصل إلى المبادئ الأساسية للفلسفة التربوية الإيمانية للبيئة يقوم الباحث بالتعرّف على مفهوم البيئة من منظور القرآن الكريم والعلاقة بينه وبين الإنسان، فالبيئة يمكن أن تقسم إلى قسمين: بيئة طبيعية وبيئة بشرية، فالبيئة الطبيعية "كل ما يحيط بالإنسان من ظاهرات أو مكونات طبيعية حيّة وغير حيّة من خلق الله سبحانه وتعالى ممثّلة في مكونات سطح الأرض من جبال وهضاب

٧١ - ضياء الدين سردار: نحو نظرية إسلامية عن البيئة، ص ٧٩-٨٢، انظر: صباريني والرشيدي، المرجع السابق.

٧٢ - سورة المائدة، الآية: ٢.

٧٣ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٢٠٧٤.

وسهول ووديان وصخور وتربة وعناصر المناخ المختلفة من حرارة ورطوبة وضغط ورياح وأحياء برية
النشأة نباتية كانت أو حيوانية أو مائية إضافة إلى موارد المياه العذبة والمالحة^(٧٤).

إنها بيئة من صنع الله لقوله تعالى: ﴿صَنَّ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٧٥) فمكونات البيئة
وعناصرها تؤدّي دورها المحدد والمرسوم في صنع الحياة في توافق وانسجام غاية في الدقة، لقوله تعالى:
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٧٦) ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٧٧) وقد ذلّلها الله تعالى
وسخّر لها لخدمة الإنسان الذي استخلفه في الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ دَلُولًا
فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٧٨) ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٧٩).

إن الحركة الذاتية الدائبة لمكونات وعناصر البيئة حركة تتوافق في انسجام مع بعضها
البعض في ظل نظام محكم غاية في الدقة تحكمه النواميس الكونية الإلهية وهو ما يطلق عليه بالمصطلح
المعاصر (بالنظام الإيكولوجي Ecosystem)^(٨٠). وتدخّل الإنسان المقصود أو غير المقصود بإحداث
تغييرات في مكونات الطبيعة أو عناصرها وفي خصائصها الكمية والنوعية يؤدّي إلى تدهور مظاهر الحياة
وربما تختفي الحياة تماماً^(٨١) لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾^(٨٢) ﴿وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾^(٨٣).

أما في ما يتعلق بصياغة البيئة والمحافظة عليها فإن ذلك يعدّ واجباً مقدساً من واجبات
الإنسان وفرض عين على كل مؤمن ومؤمنة لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ

٧٤ - زين الدين عبد المقصود، المرجع السابق، ص ١٣.

٧٥ - سورة النمل، الآية: ٨٨.

٧٦ - سورة القمر، الآية: ٤٩.

٧٧ - سورة الفرقان، الآية: ٢.

٧٨ - سورة الملك، الآية: ١٥.

٧٩ - سورة لقمان، الآية: ٢٠.

٨٠ - زين الدين عبد المقصود، المرجع السابق، ص ١٤.

٨١ - المصدر نفسه، ص ١٤، ١٥.

٨٢ - آل عمران، الآية: ١٩١.

٨٣ - سورة الأنبياء، الآية: ١٦.

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٨٤﴾، كما حذّر الله تعالى من الإساءة في استخدام البيئة ومن إفسادها فقال عزّ من قائل: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٨٥﴾ وقد حدد الله سبحانه وتعالى دور الإنسان ووظيفته في النظام الكوني من خلال:

١- الاستخلاف: فالله سبحانه وتعالى استخلف الإنسان في الأرض وجعلها مستقرّاً ومقاماً ومتاعاً له إلى حين، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٨٦﴾ وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها" ﴿٨٧﴾، فالاستخلاف يعني:

- * أن الإنسان وصيّ على الأرض لا أنه مالك لها.
- * أنه مسؤول عن إدارتها واستثمارها، فهو أمين عليها، يحسن استغلالها وتنميتها والمحافظة عليها من التدمير والتخريب.
- * أن البيئة بمواردها الطبيعة ميراث الأجيال المتعاقبة المتلاحقة.

٢- العبادة: والعبادة أمر من الله سبحانه وتعالى لعبادته وهي تعني الالتزام المخلص والأمين بمبادئ الإسلام تجاه البيئة وتجاه الإنسان نفسه إضافة إلى الشائتر الدينية الروحية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٨٨﴾ والعبادة تكون بإقامة النبيّ صلى الله عليه وسلم الوجه للدين المستقيم؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ ﴿٨٩﴾ دين الإسلام؛ وإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجدّ من الأعمال مخافة الله تعالى وإذلالاً إليه ﴿٩٠﴾؛ ومخافته جلّ وعلا تعني الاستقامة وعدم إلحاق الأذى بكل شيء، قال تعالى:

-
- ٨٤ - سورة لقمان، الآية: ٢٠.
 - ٨٥ - سورة البقرة، الآية: ٢١١.
 - ٨٦ - سورة البقرة، الآية: ٣٦.
 - ٨٧ - صحيح مسلم: ج ٤، ص ٢٠٩٨. وانظر: أبا عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٤٨٤.
 - ٨٨ - سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
 - ٨٩ - سورة الروم، الآية: ٤٣.
 - ٩٠ - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبدالله: تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٢هـ، ج ١٤، ص ٢٤.

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى ﴾ ؛ ﴿ ... فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ... ﴾ (٩١) ؛ استقامة موافقة لأمر الله.

ويرى الباحث أن ما تقدّم يؤكد على :

* حسن استغلال الموارد البيئية ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مِثَشَابِهَا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٩٢) ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (٩٣).

* المحافظة عليها وصيانتها لقوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٩٤) ، ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٩٥).

* جودة العمل وإتقانه بأسلوب معقول وإمارة الأذى ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ (٩٦) ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه " (٩٧).

* العبادة سلوك روعي ودنيوي بما يحقق للإنسان خيري الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (٩٨).

وقد أشارت الآيات القرآنية الآتية بقوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (٩٩) ، وقوله تعالى :

٩١ - سورة الشورى، الآية : ١٥ .

٩٢ - سورة الأنعام، الآية : ١٤١ .

٩٣ - سورة النحل، الآية : ١٠ .

٩٤ - سورة البقرة، الآية : ٦٠ .

٩٥ - سورة القصص، الآية : ٧٧ .

٩٦ - سورة يونس، الآية : ٦١ .

٩٧ - محمد بن سعيد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ) : الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ١، ص ١٤٣ .

٩٨ - سورة القصص، الآية : ٧٧ .

٩٩ - سورة يس، الآيتان : ٧٩ - ٨٠ .

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٠٠) إلى منافع المحيط الحيوي فهو المخزن للسلاسل والجينات الوراثية النباتية والحيوانية وأهميته في قيمته الطبية واستخراج الأدوية وأهميته في صيانة التربة من خطر الإنجراف وفي تنظيم حركة انسياب المياه في المجاري المائية، وقدرته على الاحتفاظ بالمياه ثم إعادة تصريفها أي المحافظة على توازن المياه وتجنب مغبة خطر الفيضانات العاتية ومخاطر الأطماء الشديدة (١٠١) ويسهم الغطاء النباتي في تقليل مخاطر التلوث الهوائي والمحافظة على موازنة عناصر الهواء؛ قال تعالى:

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (١٠٢).

وتناولت الآيات القرآنية موضوع حماية البيئة من التصحر وحماية البيئة من مخاطر الطاقة الإشعاعية وحذر من الفساد والإفساد وتلويث البيئة والإقدام على تبديل وتغيير خصائص نعم الحق سبحانه وتعالى وهو الذي نهي عن ذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١٠٣). وقد اعتنى الحق سبحانه وتعالى مشكلة الغذاء أو ما يسمى عالمياً مشكلة الجوع بما يتعرض له ملايين البشر بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ دُلُورًا فَاْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٠٤)، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٠٥).

وقد عالجت العقيدة الإسلامية موضوع المحيط (٥) الذي أنعم الله به على عباده، واعتبره مورداً طبيعياً في غاية الأهمية وله دور في إعالة الحياة على سطح الأرض، وقد حذر الإيكولوجيون والمهتمون بصيانة المحيط الحيوي من الكوارث البيئية العالمية ورفعوا شعار "أنقذوا المحيط الحيوي،

١٠٠ - سورة النحل، الآيتان: ١٤، ١٥.

١٠١ - عبد المقصود: المرجع السابق، ص ١٧١، ١٧٥.

١٠٢ - سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

١٠٣ - سورة البقرة، الآية: ٢١١.

١٠٤ - سورة الملك، الآية: ١٥.

١٠٥ - سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٥) المحيط الحيوي: هو الحيز المكاني الذي توجد فيه الحياة بأنماطها المختلفة أو يسمح بوجود الحياة فيه.

إذا أردتم الحياة الآمنة للأجيال الحالية والقادمة (Save Biosphere for safe life) وأكدته المنظمات العالمية المهتمة بموضوع صيانة المحيط الحيوي^(١٠٦). لقد نهى الإسلام عن سوء استغلال المحيط الحيوي واستنزافه وأكد صيانه والمحافظة عليه ليسهم في مقومات الحياة الأساسية، ودعا إلى نبذ الإسراف والتبذير وأن يكون الاستغلال والاستثمار ذا منفعة وذلك في قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة"^(١٠٧)، وقوله "من أحيا أرضاً ميتةً فهي له"^(١٠٨) وحلّل الإسلام صيد البر والبحر باعتباره حلالاً طيباً شرعاً وما هو خلاف ذلك فهو حرام مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قتل عصفوراً عبثاً عَجَّ إلى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ربَّ إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة"^(١٠٩).

ويلخّص الباحث صيانة المحيط الحيوي وحمايته إسلامياً في الآتي:

- ١- تنمية المحيط الحيوي بوصفه مرتكزاً فلسفياً.
 - ٢- دعوة الإسلام إلى الحمى أو ما يسمّى معاصرة "بالمحميات الحيوية" كونها الأسلوب المتطور في صيانة المحيط الحيوي.
 - ٣- نبذ الإسراف والفساد والإفساد واعتبارها من المحرّمات وحرمة الصيد لغير منفعة.
 - ٤- تأكد العقلانية في التعامل مع المحيط الحيوي وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١١٠).
- وقد أبرز كاصد الزيدي تميّز القرآن الكريم في تناوله للبيئة الطبيعية بالآتي^(١١١):
- ١- حَبَّبَ الطَّبِيعَةَ لِلْإِنْسَانِ وَقَرَّبَهَا مِنْهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(١١٢).

١٠٦- زين الدين عبد المقصود: البيئة والإنسان، ص ١٦٩.

١٠٧- مسلم بن الحجاج: المرجع السابق، ج ٣، ص ١١٨٩.

١٠٨- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٢٣.

١٠٩- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ): المجتبى من السنن. تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة،

مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٩٨٦م، ج ٧، ص ٢٣٩.

١١٠- سورة الزمر، الآية: ١٨.

١١١- كاصد الزيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م، ص ١٣٨-١٩٢.

١١٢- سورة الإسراء، الآية: ٦٦.

- ٢- قرن الطبيعة بالخير والبركة لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١٣).
- ٣- نزه الله تعالى من كل لُبسٍ مع الطبيعة قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (١١٤).
- ٤- يرى الطبيعة دون الإنسان منزلة ما لم يَحِدْ عن الحق لقوله جل وعلا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (١١٥).
- ٥- يتوحى العبرة دائماً من وصف الطبيعة، قال الحق تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١٦).
- ٦- يتحدث دائماً عن وجود الله وعن وحدانيته وقدرته ورحمته وحكمته وسلطانه وعلمه.
- ٧- أنه يعتمد الاستدلال لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١١٧).
- ٨- أباح المتع الحسية والنفسية شريطة أن تكون طيبة، والطيب هو الحلال، ونهى عن تحريم الطيبات. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١١٨)، ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (١١٩).
- ٩- تفرّد الله بخلق السموات والأرض، يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُوسًا يُدْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٢٠).

١١٣ - سورة البقرة، الآية: ٢٢.

١١٤ - سورة الأنعام، الآية: ٣.

١١٥ - سورة الإسراء، الآية: ٧.

١١٦ - سورة البقرة، الآية: ٢٩.

١١٧ - سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

١١٨ - سورة المائدة، الآية: ٨٧.

١١٩ - سورة المائدة، الآية: ٨٨.

١٢٠ - سورة إبراهيم، الآية: ١٩.

١٠- أن التحريم والإباحة مردهما إلى الله تعالى وحده لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١٢١).

ملاح المبادئ الإيمانية للتربية البيئية في الإسلام:

من المعروف أن القرآن الكريم حدّد الغايات والمقاصد الكبرى للعقيدة الإسلامية واعتبر الإنسان وسيلة وغاية بوصفه أحد مكونات الكون الفاعل في النظام الإيكولوجي والمسؤول عن إدارتها وحمايتها واستثمارها وفق الجهات الأساسية الواردة في القرآن الكريم منصرفاً فيها تصرف الأمين في حدود أمانته، فالانتفاع بالبيئة حق للجميع والتصرف فيها وفق منطق أن الناس جميعاً شركاء تربطهم علاقة ببعضهم البعض، وأنها ملك الأجيال القادمة فالمحافظة عليها حق شرعه الله سبحانه وتعالى؛ وما على الإنسان إلا أن يحقق التفكر والعبادة والسكن والتعمير والانتفاع والاستثمار والمتعة وتذوق الجمال (١٢٢)، وقد حذّر الله جل وعلا من الاستثمار غير الرشيد وإفساد أقوات البيئة ومواردها، فلا يجوز للإنسان إفسادها بإخراجها عن طبيعتها الملائمة للإنسان، ومن واجبات الإنسان البناء والتعمير والتنمية قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (١٢٣).

لقد قضت حكمة الله تعالى أن يوظّف بعض المخلوقات لخدمة بعضهم الآخر، وقضت حكمته تعالى كذلك أن تكون جميع المخلوقات مسخّرة لخدمة الإنسان على وجه الخصوص، فالإسلام يحرص على حماية العناصر الأساسية في البيئة والمحافظة عليها لخير الإنسان وتأمين حاجاته وضروراته وكذلك حماية الإنسان نفسه والبيئة من التأثيرات الخارجية كالمنتجات الكيماوية والفضلات، والوقاية فيها خير من العلاج؛ والقاعدة الفقهية تقول: "ودرء المفسد مقدّم على جلب المصلح" (١٢٤)، والعلاج يكمن في ترشيد الإنسان والمجتمع أهدافاً وخطّة وعملاً (١٢٥).

١٢١ - سورة الإنعام، الآية: ١١٢.

١٢٢ - أبو بكر أحمد باقادر وآخرون: دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٨٣م، ص ٦.

١٢٣ - سورة هود، الآية: ٦١.

١٢٤ - منصور بن يونس بن إدريس البهوتي: كشف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ، ج ٣، ص ٤٠٧.

١٢٥ - أبو بكر أحمد باقادر وآخرون: المرجع السابق، ص ٢٢.

إن إصلاح الحياة الإنسانية والطبيعية والمحافظة على النظام الحيوي ومنع إفساد هذا النظام ينبغي أن يتم ويتحقق وفق القواعد الكلية الشاملة لإصلاح الحياة وتسييرها، وهي القواعد التي تتمثل في مبادئ الاستخلاف المرتكز على الإيمان ومبادئ العبادة، والقواعد الفقهية وأصولها وأحكامها، ووفق الأخلاق بوصفها جوهر الإسلام وروحه الفاعل في جميع جوانبه لقوله تعالى للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١٢٦)، ولقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "أدبني ربِّي تأديباً حسناً" (١٢٧)، "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (١٢٨).

ومما تقدّم يمكن للباحث أن يحدّد المبادئ المنبثقة من القرآن الكريم والتي تشكل في مجموعها ملامح الفلسفة الإيمانية للتربية البيئية وهي:

المبدأ الأول: التوحيد:

ويعني الإقرار بوجود خالق واحد للكون، فالله سبحانه وتعالى هو مصدر التوحيد والقيم، وهو الذي يوجّه الفكر والعمل الإنساني أي الموجه في الأخلاق والسلوك الاجتماعي والمعرفة "العلم"، إضافة إلى أن الدين ميدان ومحور فهم هذه البيئة وإطاعة خالق الكون عن طريق سعيه نحو الخير العام لكل الكائنات الحيّة، "والإيمان بالله هو إيمان بالمراقبة الإلهية الدائمة للإنسان ولكل تصرفاته، وهذه المراقبة تحفز روح الالتزام والمسؤولية" (١٢٩)، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (١٣٠)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١٣١).

المبدأ الثاني: الاستخلاف:

وهي وصاية ووكالة من الله جل وعلا وغاية الاستخلاف هو الاختيار، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١٣٢)، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلَائِفَ

١٢٦ - سورة القلم، الآية: ٤.

١٢٧ - أبو عبدالله القرطبي: المرجع السابق، ج ١٨، ص ٢٢٨.

١٢٨ - أحمد بن الحسن بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج ١٠، ص ١٩١.

١٢٩ - ضياء الدين سردار: نحو نظرية إسلامية عن البيئة، ص ٨٤. انظر: داود الفاعوري، غاية الإنسان في الحياة كما يصورها الإسلام، دراسات العلوم الإسلامية، سنة ١٩، ع ٤، ١٩٩٢م، ص ٢٩٧.

١٣٠ - سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

١٣١ - سورة النساء، الآية: ٥٩.

١٣٢ - سورة البقرة، الآية: ٣٠.

الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴿١٣٣﴾ ، ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٤﴾ .

ونستنتج مما تقدم:

- ١- الكون أمانة تحملها الإنسان تجاه خالقه.
 - ٢- الإنسان وصيٌّ ومسؤول عن رعاية كل ما خلقه الله.
 - ٣- الإنسان لا يملك الحق المطلق للسيطرة، فالبيئة ميدان اختيار لأخلاق الإنسان.
 - ٤- على الإنسان حماية ما خلق الله تعالى، وهو واجب على كل مسلم ويثاب عليه من قبل خالقه.
 - ٥- إعلاء قيم الفضائل الخلقية وعدم تجاهل القيم المادية التي يشملها مفهوم الاستخلاف.
- قضت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان خليفته في الأرض، لذا ملّكه القدرة العقلية ليتعلم، والقدرة الجسدية ليطبق وليعمل وليبدع، ومنحه الإرادة الحرّة لاختيار أسلوب حياته قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿١٣٥﴾ ، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾ .

لقد فطر الله السموات والأرض كوحدة متناسقة تؤدي وظائفها؛ والإنسان وحده الذي يمتلك حرية الانتظام مع التصميم الكبير الذي وصفه الله أو الخروج عليه.

المبدأ الثالث: الحياة الآخرة:

يعدّ الإيمان بالآخرة ركنًا من أركان الإيمان في الإسلام وله الأثر الكبير في بناء علاقة الإنسان بالبيئة بل وبمفهومه وتفكيره في الوجود كله، فتحقيق تكليف الاستخلاف شرط للنجاة من العذاب في الحياة الأخرى، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ ﴿١٣٨﴾ ، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا

١٣٣ - سورة الأنعام، الآية: ١٦٥ .

١٣٤ - سورة الأعراف، الآية: ١٢٨ .

١٣٥ - سورة فاطر، الآية: ٣٩ .

١٣٦ - سورة الأعراف، الآية: ١٢٩ .

١٣٧ - سورة يونس، الآية: ١٤ .

١٣٨ - سورة الكهف، الآية: ١١٠ .

آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي
الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣٩﴾ فالحياة الآخرة موجهة للحياة الدنيا وتعطي لها معنى،
قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١٤٠).

إن وحدة الإنسان مع الكائنات الحية تؤكد الأخلاق البيئية وذلك وفق الرؤية القرآنية بقوله
تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمٌّ أُمَّتَالِكُمْ﴾ (١٤١).
يستخلص الباحث من أن القرآن الكريم جعل:

- ١- من الانسجام والألفة والمودة والرحمة بين الإنسان والبيئة، وعلاقة الإنسان بالأرض مثلها
مثل علاقة الأم بأبنائها (١٤٢).
- ٢- لم يكن هدف الإسلام تحقيق النفع فحسب، بل تحقيق الحياة الأدبية بما يطبع سلوك
الإنسان بالطابع الأدبي بصرف النظر عن زمان ومكان هذا السلوك وصلته بالآخرين.
المبدأ الرابع: الحلال والحرام:

مفهومان يحكمان البيئة من وجهة النظر القرآنية، فالحرام يشمل كل ما من شأنه تدمير
الإنسان وبيئته، والحلال يشمل كل ما هو نافع له ولمجتمعه ولبئته وللأجيال القادمة: ﴿كُلُوا
وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١٤٣)، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ﴾ (١٤٤)، فكلما سلك الإنسان بعيداً عن السلوكيات التي رسمها الله سبحانه وتعالى له
حصلت الكوارث والمآسي قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ
لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٤٥).

إن الله سبحانه وتعالى قد بين للإنسان ما هو حلال وما هو حرام وجعله خليفته في أرضه
ووضح له معالم الطريق حتى يسلكها على بينة سواء في تعامله مع نفسه أو مع الآخرين أمراً بالمعروف

١٣٩ - سورة القصص، الآية: ٧٧.

١٤٠ - سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

١٤١ - سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

١٤٢ - كاصد ياسر الزبيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، ص ٢١٧.

١٤٣ - سورة البقرة، الآية: ٦٠.

١٤٤ - سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

١٤٥ - سورة الروم، الآية: ٤١.

وناهياً عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١٤٦)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (١٤٧)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (١٤٨)، وقد نهى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن الأذى واعتبره من المحرمات وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: "من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم" (١٤٩) ليقترن بذلك الخير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٠).

المبدأ الخامس: العدل والاعتدال:

إن مبدأ العدل نابع من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (١٥١)، والإسلام دين العدل والاعتدال ودين السلوك الراشد والعادل، فلا إفراط ولا تفريط ولا إسراف ولا تقتير؛ يقول الله عز من قائل: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (١٥٢)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (١٥٣)، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (١٥٤)، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥٥)، إن في هذه الآيات الكريمة دعوة صريحة إلى الاعتدال في كل شيء ونهذ الإسراف والتقتير معاً، فالاعتدال

١٤٦ - سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

١٤٧ - سورة المائدة، الآيتان: ٨٧-٨٨.

١٤٨ - سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

١٤٩ - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٩٨٣م، ج ٣، ص ١٧٩.

١٥٠ - سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

١٥١ - سورة النحل، الآية: ٩٠.

١٥٢ - سورة لقمان، الآية: ١٩.

١٥٣ - سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

١٥٤ - سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

١٥٥ - سورة الأعراف، الآية: ٣١.

يقتضي تجنب التطرف وتناول القضايا بموضوعية وعقلانية تراعي ظروف المجتمع العامة وطبيعة العلاقات الاجتماعية والإنسانية دون المساس بالجوهر أو المبدأ والحرص على الأصالة والتجديد؛ فهو اعتدال بين الطرفين والتعادل بين الكم والكيف وبين الروح والمادة وبين الغاية والسبب، واختلال التعادل يؤدي إلى السقوط، ومن منطق العدل والاعتدال حدوث التوازن في الحياة الإنسانية الحضارية في الدنيا وكذا في الآخرة، فأما في شأن الدنيا فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَسَنَّسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (١٥٦)، وأما في شأن الآخرة فقد قال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٥٧) فهذا التوازن والاعتدال مصدر إرادة الإنسان وفعله الذي يتحرك به لتحقيق الغاية ثم الالتزام الأمين بمسؤولياتها.

المبدأ السادس: الاستصلاح (الصالح العام):

لقد اتجه الإسلام إلى كل إنسان فرد يعييش في جماعة تآلفاً وترابطاً ووحدةً وجهاداً في سبيل الحق ودعوة إلى الخير وتواصياً بالمعروف ونهياً عن المنكر وتعاوناً على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان، وركز على هذا المعنى الإنساني في قوله عز وجل: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (١٥٨) لقد جاءت دعوة الإسلام صريحة واضحة تنادي بالعمل المفيد وتحث عليه - من أجل المصلحة العامة - كأساس لعمارة الأرض وصلاح الدنيا ملبية حاجات الحياة ومتطلبات الإنسان من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمركب وغيره، قال تعالى: ﴿فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (١٥٩) كما أبان لنا ذلك الهدي النبوي الشريف في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثم إن من عقل الرجل استصلاح معيشتة"، قال أبو الدرداء: "أرأيت المعيشة صلاح الدين ومن صلاح الدين حسن العقل" (١٦٠) وكذلك القواعد الفقهية التي تجعل المصلحة العامة قبل الخاصة تُوجّه إلى ضبط سلوك الإنسان مع بيئته، و "درء

١٥٦ - سورة القصص، الآية: ٧٧.

١٥٧ - سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

١٥٨ - سورة المائدة، الآية: ٣٢.

١٥٩ - سورة الملك، الآية: ١٥.

١٦٠ - الحارث بن أبي سلمة، "الحافظ نور الدين الهيثمي"، مسند الحارث "زوائد الهيثمي"، تحقيق: حسين

أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٨١١.

المفاسد مقدّم على جلب المصالح" (١٦١) ويُتحمّل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٦٢).

المبدأ السابع: العلم (المعرفة):

أكد الإسلام على أهمية العلم في الحياة الدنيا وقيّمته في اكتشاف قوانين الطبيعة، وحرص على طلب العلم واعتبره عبادة؛ قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (١٦٣)، وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٦٤).

إن التفوّق العلمي المقترن بالسلوكيات التي رسمها الله سبحانه وتعالى هي التي تضبط استغلال البيئة واستثمارها عند الحدود الآمنة، وهي التي تصون البيئة وتحافظ عليها، فالحرص على الكفاءات العلمية وتطويرها وتنميتها ضرورة تمكّن الإنسان من استغلال موارد بيئته استغلالاً لا يخلّ بالنظام الإيكولوجي، ويضمن حاجات الإنسان في الحاضر والمستقبل؛ لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة" (١٦٥).

المبدأ الثامن: الفطرة:

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٦٦)، والدعوة واضحة وذلك أن يلتزم الإنسان بفطرة الله وأن يعمل بموجبها وعدم الإخلال باتباع الهوى ووساوس الشيطان، والفطرة هي تلك القابلية للدين الناشئة في نفس الإنسان والتهيؤ لإدراكه، فالأصل أن الله خلق البشر قابليين له غير نائين عنه، منساقين إليه فيما إذا أخلوا مع أنفسهم، والإنسان مفطور بطبيعته على ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٦٧)،

١٦١ - منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، كشف القناع عن متن الإقناع، ص ٤٠٧.

١٦٢ - سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

١٦٣ - سورة المجادلة، الآية: ١١.

١٦٤ - سورة الزمر، الآية: ٩.

١٦٥ - انظر: الإمام الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٨.

١٦٦ - سورة الروم، الآية: ٣٠.

١٦٧ - سورة الشمس، الآيات: ٧ - ١٠.

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١٦٨)، وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" (١٦٩)؛ والأب هنا المرابي والمسؤول الأول بعد الله تعالى عن تربية أولاده.

وكون التراث العربي الإسلامي مشتملاً على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما لهما من صفة الاستمرار ويمكن دراستهما دراسة علمية، وبما أن القرآن الكريم كتاب مجيد مطهر مكنون لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا لا يشبع منه العلماء نزل لهداية الإنسان وبيان مهمته في الخلافة وال عمران وتذكيره بعهدده وبيان حدود إتمامه وإعلان تسخير الموجودات له وتحديد مسؤوليته التامة عن العمان والعبادة، فهو وعاء منهجيته ومصدر معرفته والهادي له في مهمته، والنظر الفعلي وسيلة الإنسان الأساسية لتدبر هذا القرآن والتفكير في آياته (١٧٠).

وقد اعتمد الباحث المنبع الإلهي في رؤيته للوجود والإنسان والحياة ليتلمس ملامح الفلسفة الإيمانية للتربية بوصفها جزءاً من فلسفة الإسلام الكلية في موقفها من الوجود والإنسان والحياة في هذه الدنيا وفي الآخرة، وبوصف الإنسان بخليفة الله في الأرض - الإنسان الذي حمل الأمانة - فإنه المكلف باكتشاف الطبيعة وسبر غورها للتعرف على أسرارها ليرى آيات الله في ذلك ويتصرف في شؤون الحياة حسب التوجيه الإلهي.

ويرى بعض علماء الغرب المعاصرين أن الله سبحانه وتعالى يتجلى في عصر العلم حيث أثبت لهم العلم الحديث أن هناك نظاماً معجزاً يسود هذا الكون أساسه القوانين والسنن الكونية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل، وأن كل شيء محسوب بحساب دقيق مما يدل على صلاحيته للحياة، وأن ملائمة الأرض للحياة تتخذ صوراً متعددة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية، يقول سبل

١٦٨ - سورة الرعد، الآية: ١١.

١٦٩ - صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٤٧، حديث رقم: ٢٦٥٨.

١٧٠ - فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل، القرآن والنظر العقلي. سلسلة الرسائل الجامعية (٧)، المعهد العالمي للفكر

الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٣م، ص ١٣. انظر: المرجع السابق، التصدير لته جابر العلواني.

هامان: وكلما وصل الإنسان إلى قانون جديد فإن هذا القانون ينادي قائلاً: "إن الله هو الخالق وليس الإنسان إلا مكتشفاً" (١٧١).

لقد قام الباحث بتتبع الآيات القرآنية الواردة في الاستخلاف والعبادة، والآيات التي أشارت إلى العقل والعلم والداعية إلى النظر والتفكير والاجتهاد والتفقه، والآيات التي أشارت إلى موضوع البيئة والمحيط الحيوي ونظامه وعلاقة الإنسان بذلك الكل الكامل المتكامل الشامل، وأدواره في استغلالها واستثمارها وحمايتها بوصفه الوصي لا المالك ليحفظ حق الآخرين من الأجيال القادمة، لتقرير ما يتوجب على هذا الإنسان من المحافظة على التوازن في المحيط الحيوي والتصدي لكل ما يحدث من مشكلات بيئية تخل بالنظام الإيكولوجي.

إن الله سبحانه وتعالى قد وهب الإنسان القدرة على ممارسة مهام الخلافة ومنحه من إمكانيات التسخير والتعامل العقلاني مع المحيط البيئي، وزوّده بالقابليات والاستعدادات والقدرات العقلية والنفسية والجسدية التي تمكّنه من التلقي عن الله سبحانه وتعالى، والقدرة على التعرف على قوانين الخلق ثم تحويل ما يتلقاه من معارف وتوجيهات إلى ممارسات وتطبيقات عملية في الأرض. والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أول من طبّق هذه الدعوة من خلال أعمال العقل والفكر والاجتهاد، فمارس الصحابة بدورهم ذلك النظر العقلي والاجتهاد (١٧٢)، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (١٧٣)، ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١٧٤)، وديننا الحنيف فرّض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (١٧٥).

وأكد القرآن الكريم على السمع والبصر والفؤاد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١٧٦)؛ فبالسمع والبصر والقلوب الحية الواعية تحرز المعرفة التي

١٧١ - فاطمة إسماعيل محمد، المرجع السابق، ص ١٣، ص ١٦٩. انظر: نخبة من العلماء الأمريكيين. الله يتجلّى

في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش عبد الحميد سرحان، مراجعة: وتعليق: محمد جمال الدين الفندي،

مؤسسة الحلبي، القاهرة، ط ٣، سنة ١٩٦٨م، ص ١٤٢.

١٧٢ - فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل، المرجع السابق، ص ٢٩١.

١٧٣ - سورة البقرة، الآية: ٣١.

١٧٤ - سورة العلق، الآيتان: ٤ - ٥.

١٧٥ - سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

١٧٦ - سورة السجدة، الآية: ٩.

اكتسبها الآخرون، قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُنْذُنٌ وَأَعْيَةٌ﴾ (١٧٧)، وقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٧٨)، وقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (١٧٩).

إن حرية الانتظام مع التصميم الإلهي الأكبر يتطلب الاسترشاد بمنطق الشرع والعقل ليحافظ الإنسان على عوامل التوازن العقلي والنفسي والجسدي في حياته وليظل محتفظاً بإنسانيته محمياً محفوظاً من السقوط إلى درك الحيوانية، وليبقى منسجماً مع القوانين التي فطره الله تعالى عليها، وليتعرف على الأساليب الصحيحة للتعامل مع خالقه ومربيه ومع العالم المحيط به من البيئات قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (١٨٠)، ولقدرة الإنسان على الانتظام مع التصميم الإلهي الأكبر وقدرته على توظيف عقله واستخدام التفكير العلمي انهمك في دراسة القرآن الكريم، فظهرت بذور العلوم الإسلامية من نحو وصرف وبلاغة وفقه وكلام وفلسفة ومنطق؛ ومن السياحة في مناكب الأرض نشأ علم الجغرافية، ومن عرض ما يخلص إليه العقل من التجربة نشأ العلم التجريبي، ومن العلاقة الجدلية بين العقل والتجربة تعرّف الإنسان على الأشياء وأسبابها وقوانينها، وآمن الإنسان بفعالية العلوم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ".... اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع..." (١٨١).

وانتظام الإنسان مع التصميم الإلهي الأكبر يعني الالتزام الواعي بالتكاليف والفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بأمور الدين والدنيا؛ وهذا يعني التمسك بحقوق الله التي أودعها من كلفهم وائتمنهم عليها وأوجب مراعاتها والمحافظة عليها وأداها من غير إخلال بشيء منها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (١٨٢).

١٧٧ - سورة الحاقة، الآية: ١٢.

١٧٨ - سورة الذاريات، الآية: ٢١.

١٧٩ - سورة الطارق، الآية: ٥.

١٨٠ - سورة التين، الآيات: ٤ - ٦.

١٨١ - صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٨٨، حديث رقم: ٢٧٢٢.

١٨٢ - سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

وقد ترك للإنسان حرية الاختيار في هذا الوجود وحرية الانتظام مع التصميم الإلهي الأكبر أو الخروج عليه، وبهذا الانتظام يسود الأمن والاستقرار مع القوانين والنواميس التي تُوجّه هذا الوجود، فيؤدي الإنسان وظيفته في الاستخلاف بأمانة وينال الجزاء - الثواب - والسعادة في الدنيا والآخرة، وعكس ذلك يؤدي إلى الفوضى والاضطراب واختلال التوازن والعجز عن أداء الوظائف الإيمانية فيكون جزاؤه الضنك في هذه الدنيا والعذاب في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (١٨٣)، وقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٨٤)، وحرية الإيمان في العقيدة الإسلامية واضحة في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١٨٥)، وفي قوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ (١٨٦)، وهذه الحرية تمنح الإنسان حرية التفكير والاجتهاد بما يرضي الله تعالى، فله حق التفكير المستقل والأخذ بالنتائج التي يهديه إليها عقله ويرضي بها ضميره" (١٨٧).

الخلاصة:

إن ما نودّ تقريره في هذا المقام أن الأقطار العربية تعاني مشكلات بيئية خطيرة وملحة، ومن هذه المشكلات جرف التربة وزحف الصحراء، وانقراض بعض الحيوانات البرية، والرعي الجائر وإزالة الغابات، واستنزاف الموارد الطبيعية والتي تتمثل في عدم الاستخدام السليم للموارد المتجددة وغير المتجددة. إن التشريعات المتعلقة بالبيئة كثيرة ومتعددة وقد غطت مجالات واسعة ومهمة، ولوزارات التربية دور مهم في حماية البيئة وتحسينها على طريق تحقيق وعي بيئي في مجالات المناهج وبرامج أعداد المعلمين وتدريبهم، ودور إدارات المدارس وكيفية قيامها بدورها في الممارسات المطلوبة والعمل على حماية البيئة وصيانتها وتحسينها والاستفادة منها.

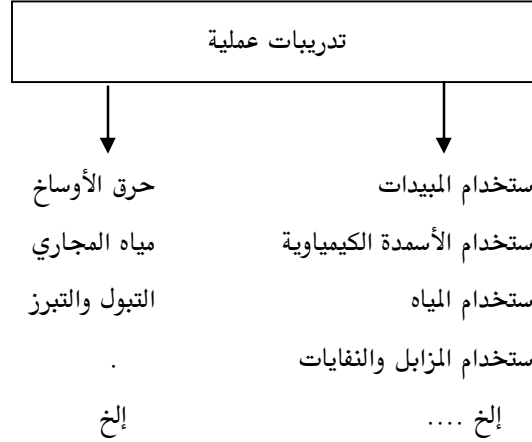
١٨٣ - سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

١٨٤ - سورة فصلت، الآية: ١٧.

١٨٥ - سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

١٨٦ - سورة الكهف، الآية: ٢٩.

١٨٧ - علي أحمد مذكور، نظريات المناهج العامة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٢١-٢٢.



الخاتمة:

تمرّ البشرية اليوم بأزمات حادة ومشكلات بالغة التعقيد هي المشكلات البيئية وما نتج عنها من أزمات حادة يمرّ بها الإنسان الفرد والجماعة أي أزمة شعوب تعاني من تدهور في مواد البيئة وتدمير للطبيعة، وتمثل ذلك في التصحرّ وجرف التربة وقطع الأشجار وتحويل الأنهار وإنقراض عدد من أنواع الحيوانات والنباتات واختلال في النظام الإيكولوجي وتلوّث للبيئة - الهوائي والمائي - وتعرّض الإنسان لمخاطر الأفران الذرية والمبيدات الكيماوية وغيرها، ليتعرّض بذلك المحيط الحيوي إلى سوء استخدام الإنسان وربما إلى تدميره أو تخريبه.

وقد برهن بعض علماء الغرب على أن التدهور المعاصر والمتزايد للبيئة ما هو إلا نتاج النظام الأخلاقي للغرب ويرجع "لين وايت" التدهور المعاصر والمتزايد للبيئة إلى نتاج علوم وتكنولوجيا ترجع في أصولها إلى القاعدة الأخلاقية الغربية وإلى التوجّه التكنولوجي نحو زيادة الإنتاج بغض النظر عن إمكانيات الموارد الطبيعة وتساعد الضغط الفردي والجماعي على الأرض والبيئة الحيوية وزيادة المخلفات وتكسد المخزون النووي والكيماوي والبيولوجي والنمو السكاني الهائل وانعزال الإنسان عن بيئته وعن الطبيعة مما تسبّب في تفاقم المشكلات البيئية المعاصرة وتنوعها وتعقد الحياة.

لقد تابع الباحث بعض أعمال المؤتمرات الدولية والإقليمية والمحلية التي ثمّ انعقادها للوقوف على المشكلات البيئية التي تعاني منها البشرية وعلى توصيات ومقترحات تلك المؤتمرات وكذلك الدراسات والبحوث التي أجريت في هذا الميدان الحيوي فوجد الباحث أن أكثرها لا تتجاوز

حدود المشكلات والصعوبات التي تعاني منها التربية البيئية وغاب عنها الحاجة إلى الإطار الفلسفي الذي يقود ويوجه النظام التربوي البيئي. كما حاول دراسة الفلسفات البيئية التي اهتمت بموضوع البيئة ومشكلات وعلاقة الإنسان بها فلم يجد فيها الإطار الفلسفي المؤهل لقيادة التربية البيئية وتوجيهها وإرشادها بما يضمن حماية المحيط الحيوي والتوازن الإيكولوجي وما يحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وحاول الاطلاع بعمق على الموقف المتخذ من البيئة وعلاقة الإنسان بها في الديانات الوضعية: الهندوسية والبوذية، والكونفوشوسية، والطاوية، فوجد أن هذه المعتقدات قد اهتمت اهتماماً كبيراً بالبيئة وبموقع الإنسان في هذا الوجود، محددة نوع العلاقة بينه وبين بيئته؛ ويمكن القول أنها ديانات بيئية، وتابع بحثه في الموضوع مع الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية فوجد أنهما تدعوان الإنسان إلى التسلط على الطبيعة وعلى كل ما هبّ ودبّ ومنحته الصلاحية في استغلال البيئة وحق الملكية فكانت الجذور التاريخية للفلسفات الغربية المعاصرة المتفاعلة مع العلم والتكنولوجيا توجه الإنسان نحو قهر الطبيعة واستغلالها بغض النظر عن المخاطر التي نجم عن هذا التوجه وعن الضرر الذي سيلحق بالطبيعة والإنسان نفسه بل الضرر في تطور الحياة. ومن هذه الفلسفات التي ارتكزت على الجانب المادي النفعي وأهملت الجانب الروحي الذي نتج عنه أخلاقيات وقيم تعبر عن هذا التوجه المخيف للطبيعة وللإنسان.

وقد تبين للباحث أن هناك فلسفات بيئية طرحت إطارها الفلسفي والمبادئ الأخلاقية للإيكولوجيا وحاولت التصدي للفلسفات التي سيطرت على الإنسان التقني المعلوماتي الذراتي العلماني الذي سيطر على العلم والتكنولوجيا ووظفها في سبيل المزيد من الإنتاج وتنوعه، والمزيد من الاستهلاك أي توظيفاً مادياً نفعياً بعيداً عن أخلاقيات وقيم الإنسان الروحية والمنفعية والجمالية.

وقد طرحت هذه الفلسفات مجموعة مبادئ تشكل المرتكزات الفلسفية لها متمثلة في وحدة الكون والتنوع البيولوجي في مملكة النبات والحيوان وإمكانية الإنسان في إعادة استخدام الفاقد لضمان حق الأجيال القادمة؛ وعن عوامل النظام المقيدة ومفهوم الطاقة الناقلة والطاقة الحاملة؛ وعن نمو وتطور النظم البيئية واستقرارها وقيمة الزمن في تطور النظام البيئي محدثة من تدمير الأنظمة الطبيعية، ودعت إلى ضرورة التخلي عن فكرة أن الوجود البشري هو بالضرورة حرب ضد الطبيعة.

لم تُقدّم هذه الفلسفات شيئاً جديداً للبيئة فحسب، بل قدمت أنموذجاً جديداً، إذ يرى الباحث أن هذه الفلسفات على الرغم من أنها قدّمت إطاراً فلسفياً جديداً للبيئة ولكنها لم تُعن بالإنسان الكل المتكامل بوصفه المعبر عن حالات الوجود الخاصة بالبشر باعتباره خليفة الله على الأرض حامل الأمانة ليستخدمها ويصونها ويحميها لينتفع منها ويضمن حق الأجيال اللاحقة بعد الإنسان المخلوق الوحيد الذي يمتلك العقل والقدرة على التفكير والتدبر والتعقل.

لذا حاول الباحث أن يحدد الأخلاقيات البيئية والقيم التي وردت في القرآن الكريم ليصل إلى المبادئ التي تشكل المنظومة الأخلاقية للإطار الفلسفي الإيماني للتربية البيئية الذي اشتمل على الجانب العقائدي الذي يحدد الصلة بين الخالق (الربّي) والمخلوق، وعلى الجانب الاجتماعي المتمثل في العلاقات وأنماط السلوك في المحيط البشري الذي ينتمي إليه الإنسان وفي الجانبين المكاني والزمني، والذي يعني أسلوب العيش على رقعة الأرض والتواصل والاستمرار.

وقد وجد الباحث أن القيم الواردة في القرآن الكريم هي قواعد لسلوك الإنسان وهي قيم أخروية وقيم منفعية وقيم أخلاقية وجمالية، وتوصّل إلى أن التوحيد هو المرتكز الأساسي الأول للأخلاقيات البيئية من وجهة النظر القرآنية حيث يمثل وحدانية الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١٨٨) والإقرار بوجود خالق واحد متعال لهذا الكون وما فيه، والإنسان مسؤول أمامه في النهاية عن كل ما يفعل ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (١٨٩)، والتوحيد يشكل القاعدة الأخلاقية للإنسان باعتبار أن الله سبحانه وتعالى هو المصدر الأوحد للقيم، فالتوحيد مصدر الفكر والعقل الإنساني، والتوحيد المبدأ الهادي دينياً وأخلاقياً والهادي للسلوك الاجتماعي وإلى العلم والمعرفة، والدافع لاكتشاف قوانين الطبيعة ليتعامل الإنسان المؤمن على وفق هذا المبدأ.

والمرتكز الثاني الأساس للأخلاقيات البيئية هو العبادة والتي تعني الالتزام الواعي الأمين للإنسان بمبادئ الإسلام تجاه ربه وبيئته ونفسه، وأنها تعني مخافة الله والاستقامة على شرعه؛ فهي سلوك روحي وديني بما يحقق خير الدنيا والآخرة، ومن هذه الرؤية توصّل الباحث إلى مجموعة المبادئ الأخلاقية التي تشكل مرتكزات الفلسفة الإيمانية للتربية البيئية والتي تمثلت بمبادئ الخلافة

١٨٨ - سورة الإخلاص، الآية: ١.

١٨٩ - سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

والأمانة والمعرفة والعلم والحلال والحرام والعدل والاعتدال "التوازن والانساق"، والاستحسان "الاختيار الأفضل"، والاستصلاح "للصالح العام"، والفطرة التي فطرها الله سبحانه وتعالى.

ويرى الباحث أن الفلسفة الإيمانية للتربية البيئية يمكن أن تكون البديل عن الفلسفات الغربية لأنها قادرة على قيادة النظام التربوي البيئي وتوجيه مساره ليجعل التربية البيئية قادرة على تحقيق أهدافها في بناء الإنسان المؤمن بالخلافة والأمانة وقدرتها على تشكيل الوعي البيئي الإيماني وتشكيل السلوك والمعايير تجاه البيئة والطبيعة والإنسان نفسه.

* * * *